رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمخالفين في أثناء الحرب

إعداد:

د. عبد المحسن أحمد محمد علي

أستاذ مساعد بجامعة نجران– فرع شرورة

كلية العلوم والآداب

قسم الدراسات الإسلامية

المقدمة

الحمد لله الواحد المعبود، الذي عمت حكمته الوجود، وشملت رحمته كل موجود، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الغفور الودود، وأشهد أن نبينا محمدا عبد الله ورسوله، صاحب المقام المحمود الذي أرسله ربه رحمة للمؤمن المحب الودود والكافر العدو اللدود، فاللهم صلي وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، الركع السجود، والتابعين ومن تبعهم من المؤمنين الشهود.

أما بعد:

فلقد بعث الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم هدى ورحمة للعالمين، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: 107)، وقال صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت رحمة" [1]، وقال صلى الله عليه وسلم: "إنما أنا رحمة مهداة" [2].

ولقد كانت رحمة النبي صلى الله عليه وسلم، خلقا من أخلاقه الكريمة وأسلوب حياة تعامل به مع أتباعه الموافقين، وإن تعجب فعجب أن نقول وأيضا مع أعدائه الكافرين المخالفين من اليهود والنصارى والمشركين، ورحمته صلى الله عليه وسلم، بهؤلاء بلغت غايتها ومداها، حيث إنها لم تقتصر على الرحمة بهم في السلم فقط، بل وفي الحرب – أيضا– فغمرت رحمته صلى الله عليه وسلم، في أثناء الحرب المحاربين والمدنيين والمستأمنين والأسرى وغيرهم من المخالفين، وأيضا بيئتهم التي يعيشون فيها ومقدراتهم وممتلكاتهم، وقد وفقني الله عز وجل لاختيار هذا البحث، لأتحدث فيه عن هذا الجانب من جوانب رحمة النبي صلى الله

(1) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسلم بن الحجاج: 4/ 2006 حديث رقم: 2599، كتاب البر والصلة، باب النهى عن لعن الدواب وغيره، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(2) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: 1/ 91 حديث رقم: 100، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1411- 1990، وقال الحاكم: صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي.

عليه وسلم، وجعلته بعنوان (رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم، بالمخالفين في أثناء الحرب)، اقتصرت فيه على الحديث عن رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم، بالمخالفين له في أثناء الحرب ومظاهر ذلك، وذلك خشية الإطالة، ولأن الرحمة في الحرب أمر بعيد وغير متوقع، لكن سلكه النبي صلى الله عليه وسلم، مع مخالفيه، ويحتاج إلى مزيد من الإيضاح والبيان أكثر من غيره.

وفيما يلي أسباب اختياري لموضوع البحث، وأهدافه، ومشكلته، ومنهجي فيه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

أولا: أسباب اختياري لموضوع البحث:

كان من أسباب اختياري لهذا الموضوع ما يلي:

1. إظهار جانب من جوانب رحمة النبي صلى الله عليه وسلم العامة، وهو رحمته صلى الله عليه وسلم بالأعداء المخالفين من أهل الكتاب والمشركين في الحرب والقتال بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.
2. الرد من خلاله على أولئك المسيئين لرسول صلى الله عليه وسلم، بالقول أو الفعل واصفين له بالعنف والقسوة والإرهاب، مبينا أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان رحيما، بلغت رحمته مداها مع مخالفيه قبل متبعيه، حتى في حالة لا يتوقع فيها رحمة أو رأفة، وهي حالة الحرب والقتال، وأنه لم يكن أبدا قاسيا ولا عنيفا ولا إرهابيا، كما يفتري أولئك الأفاكون.
3. المشاركة به في مؤتمر الرحمة الذي ستعقده- بمشيئة الله تعالى- جامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية.

ثانيا: أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى عدة أهداف، منها:

1. التأكيد على أن الإسلام دين الرفق الرحمة، وليس دين العنف والإرهاب، وأن نبيه صلى الله عليه وسلم نبي الرأفة الرحمة وليس نبي القسوة والعنف حتى مع غير الأتباع والأحباب.
2. الرد من خلاله على من يسيئون لرسول الإسلام، ويصفونه والإسلام بالإرهاب، وهو منه برئ، ببيان جانب من جوانب رحمته صلى الله عليه وسلم، بالمخالفين من أعدائه، ودعوتهم إلى قراءة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليقفوا على منهجه صلى الله عليه وسلم، في تعامله مع أسلافهم، وهم الذين لم يدعوا وسيلة من وسائل العنف والإرهاب والقسوة والغدر إلا وقد مارسوها معه ومع أصحابه، من ضرب وتعذيب وطرد ومحاربة وحصار ونقض للعهود والمواثيق ومحاولة اغتيال أكثر من مرة، ومع ذلك كانت رحمته صلى الله عليه وسلم، بهم هي الغالبة على الانتقام والعفو هو الغالب على المعاملة بالمثل، فقد فاقت رحمته الوصف، وزادت عن الحد إذا قسناها بمنظور البشر.
3. دعوة المسلمين إلى الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في تخلقه بخلق الرحمة، حتى مع المخالفين لهم في العقيدة أو الرأي.
4. بيان أن قتاله صلى الله عليه وسلم للمخالفين في الدين والعقيدة إنما كان رحمة بهم، أما بالنسبة لمن آمن منهم عقب الحرب أو الغزو فظاهر، وبالنسبة لمن قتل منهم في ميدان الحرب والقتال فوجه الرأفة والرحمة في ذلك أن قتله منعه من التمادي في غيه وضلاله، فلا يزيد عذابه وعقابه عند الله جل جلاله، وبالنسبة لمن بقي منهم فلعله

يراجع نفسه عندما يرى انتصار المسلمين في الحروب، فيعلم أنهم على الحق المبين فيسلم أو يكف عن قتال المسلمين، ويأمنوا شره أجمعين.

ثالثا: مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في بيان مظاهر رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالمخالفين له في ميدان الحرب والقتال ببيان أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن قاسيا أو عنيفا في الحروب والغزوات، بل كان رؤوفا رحيما لا يقاتل إلا من حمل السلاح عليه وقاتله، ولم يتعد حدود القتال والقتل، وان شئت فقل: إن النبي صلى الله عليه وسلم حارب أعداءه المخالفين له بالرحمة، وانتصر عليهم بها، وكانت سببا في إسلام الكثير منهم.

رابعا: منهجي في البحث:

اتبعت في هذا البحث- بفضل الله ومنه- المنهج الاستقرائي الاستنباطي، بجمع الأحاديث والآثار التي تدل على مظاهر وصور رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالمخالفين له في الحرب والقتال من كتب الصحاح والمسانيد والسنن والآثار والسيرة، وبيان الحكم على ما يحتاج إلى حكم منها، مقتصرا في الغالب على الصحيح أو الحسن من تلك الأحاديث والآثار، ثم استنباط مظهر الرحمة منها، والله الموفق.

خامسا: الدراسات السابقة:

ألفت عدة كتب وسطرت عدة أبحاث لها صلة وثيقة بموضوع هذا البحث منها:

1. الرحمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، للدكتور/ راغب السرجاني وهو بحث حائز على جائزة المركز الأول بالمناصفة في مسابقة معالي السيد/ حسن عباس الشربتلي العالمية للتعريف بنبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، عام 1428 هـ، تحدث المؤلف في هذا

البحث عن عموم رحمة النبي صلى الله عليه وسلم، وعقد فصلا كاملا عن رحمته صلى الله عليه وسلم، في أثناء الحرب.

2. أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في الحرب لأماني زكريا الرمادي، وهو كتاب تحدثت فيه مؤلفته عن عموم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها والتي منها أخلاقه صلى الله عليه وسلم في الحرب مع الأعداء من الحلم والرفق والوفاء وحسن معاملة الأسرى، وغير ذلك.

3. الهدي النبوي في التعامل مع نساء المشركين في المعارك للدكتور/ أحمد حلمي سعيد، وهو بحث شارك به المؤلف في مؤتمر الحوار وأثره في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم، الذي عقد في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– الرياض 7– 8 صفر 1435 هـ، تحدث فيه مؤلفه عن الوصايا النبوية بعدم قتل النساء في المعركة، والموقف من المشركة المقاتلة ومن في حكمها، ومواقف نبيلة من أسيرات المعركة من المشركات، والهدي النبوي في مبادلة الأسرى، وتشبع الصحابة بالخلق النبوي في المعركة.

ويلاحظ أن هذه المؤلفات تناولت إما عموم رحمة النبي صلى الله عليه وسلم، أو عموم أخلاقه صلى الله عليه وسلم في الحرب وغيرها، أو خصوص رحمته صلى الله عليه وسلم بصنف معين أثناء الحرب وهو: نساء المشركات وحسن معاملته صلى الله عليه وسلم لهن، لذا أردت أن أفرد بحثا خاصا بخلق من أخلاقه صلى الله عليه وسلم، وهو الرحمة وفي مواقف معينة وهي الحروب وبجميع الأصناف في الحروب، وهم الرجال والنساء والصبيان والشيوخ، وغير ذلك، وأسميته (رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمخالفين في أثناء الحرب) وفيما يلي خطة هذا البحث:

سادسا: خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه- بعد توفيق الله تعالى وتيسيره- إلى مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة:

أما المقدمة، فبينت فيها أسباب اختياري لموضوع البحث، وأهدافه ومشكلته ومنهجي فيه والدراسات السابقة، وخطة البحث.

أما المباحث الخمسة للبحث فهي كما يلي:

المبحث الأول: رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالمحاربين من الأعداء المخالفين وقد قسمته إلى خمسة مطالب، وهي:

المطلب الأول: رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالمحاربين في تقديم السلم على الحرب.

المطلب الثاني: رحمته صلى الله عليه وسلم في استجابته لتوسلات أعدائه وقبول المفاوضة معهم.

المطلب الثالث: رحمته صلى الله عليه وسلم في منع التمثيل بجثث القتلى.

المطلب الرابع: رحمته صلى الله عليه وسلم في منع استخدام الوسائل المحرمة في القتل.

المطلب الخامس: رحمته صلى الله عليه وسلم في تأمين مصابي الحرب والفارين منها والمستسلمين.

المبحث الثاني: رحمته صلى الله عليه وسلم في حماية المستكرهين على الحرب والمستأمنين وقد قسمته إلى مطلبين، وهما:

المطلب الأول: رحمته صلى الله عليه وسلم في حماية المستكرهين على الحرب.

المطلب الثاني: رحمته صلى الله عليه وسلم في حماية المستأمنين.

المبحث الثالث: رحمته صلى الله عليه وسلم في حماية المدنيين في أثناء الحرب وقد قسمته إلى مطلبين وهما:

المطلب الأول: رحمته صلى الله عليه وسلم بالمدنيين في عدم الإغارة على العدو ليلا حتى لا يروعهم:

المطلب الثاني: رحمته صلى الله عليه وسلم في التحذير من قتل المدنيين في الحرب.

المبحث الرابع: رحمته صلى الله عليه وسلم في حماية البيئة عند الحرب، وقد قسمته إلى مطلبين وهما

المطلب الأول: تعريف البيئة.

المطلب الثاني: مظاهر رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في حماية بيئة الأعداء أثناء الحرب والقتال.

المبحث الخامس: رحمته صلى الله عليه وسلم بأسرى الحرب وقد قسمته إلى خمسة مطالب:

المطلب الأول: المراد بالأسرى وموقف القرآن الكريم منهم.

المطلب الثاني: رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالأسرى في دعوتهم إلى الإسلام.

المطلب الثالث: رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في العفو عن أسرى الحرب وإطلاق سراحهم بلا فداء.

المطلب الرابع: رحمته صلى الله عليه وسلم في إطلاق سراح أسرى الحرب بفداء.

المطلب الخامس: رحمته صلى الله عليه وسلم بالأسرى في حال الاحتفاظ بهم.

الخاتمة نسأل الله حسنها: وقد ذكرت فيها نتائج البحث، وأهم التوصيات.

ثم ذيلت البحث بالمراجع والمصادر ثم فهرس للموضوعات.

والله تعالى ولي التوفيق

المبحث الأول

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالمحاربين من الأعداء المخالفين

لقد عمت رحمة النبي صلى الله عليه وسلم المحاربين من أعداء الدين المخالفين في كثير من المواقف والمظاهر تتضح من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالمحاربين في تقديم السلم على الحرب

إن الحرب لم تكن بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم غاية، بل كانت وسيلة لدفع الظلم، ورد العدوان، ودفاع عن الحقوق وإعلاء لكلمة الله عز وجل وضمانا لحرية الاعتقاد للمؤمنين، وحماية للدعوة، ورحمة بأعدائه، حتى لا يستمروا على ضلالهم وكفرهم، فيزداد عذابهم في الآخرة، لذا كان صلى الله عليه وسلم لا يبدأ أحدا بالقتال بل كان لا يقاتل إلا من قاتله ولا يعتدي إلا على من اعتدى عليه، كما أمره الله تعالى في قوله: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (البقرة: 190). فلم يحارب صلى الله عليه وسلم إلا إذا كان مضطرا للحرب. ولم يهاجم صلى الله عليه وسلم عدوا قبل أن يعرض عليه الإسلام والسلام والأمان قبل الحرب والقتال والخوف وكان هذا منهجا له صلى الله عليه وسلم وأسلوبا رسمه الله له في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (البقرة: 208)، وأمره بتطبيقه، فقال: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآَخَرِينَ مِنْ

دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60)) (الأنفال: 60) وطبق النبي صلى الله عليه وسلم هذا المنهج عمليا فلم يبدأ صلى الله عليه وسلم عدوا مخالفا له بالحرب، بل كان صلى الله عليه وسلم يكره كلمة حرب في حد ذاتها ولا يحب أن يسمي بها أحدا من الأطفال، فعن علي، قال: "لما ولد الحسن سميته حربا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "أروني ابني، ما سميتموه؟" قال: قلت: حربا. قال: "بل هو حسن..." [1] الحديث "وكان كان يكره لقاء العدو ووصى أصحابه بعدم تمني لقائه فقال لهم: "لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية" [2].

وهناك مواقف كثيرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقدم فيها السلم على الحرب والأمن على الخوف وحقن الدماء على سفكها، ويعد فيها السلم هو القاعدة والحرب شذوذا عن هذه القاعدة، لأنه نبي الرحمة والرأفة، من ذلك:

1. العهود التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم مع أعدائه المخالفين له حيث "كان النبي صلى الله عليه وسلم يفضل عقد المعاهدات مع خصومه، ويسارع في إبرامها ليغلق الباب أمام الحرب، وتكاد المعاهدات تبلغ عدد الغزوات [3]، وما هذا إلا لحرصه على

(1) المسند لأحمد بن حنبل: 3/ 159 حديث رقم: 768 الناشر: مؤسسة الرسالة- تحقيق شعيب الأرناؤوط، وقال المحقق: إسناده حسن

(2) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه لمحمد بن إسماعيل البخاري 4/ 51 حديث رقم: 2965- كتاب الجهاد والسير- باب كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل أول النهار آخر القتال حتى تزول الشمس الناشر: دار طوق النجاة، صحيح مسلم: 3/ 1362 حديث رقم: 1742 كتاب الجهاد والسير- باب كراهة تمني لقاء العدو، والآمر بالصبر عند اللقاء

(3) عدد غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة فقد روى أبو إسحاق أنه سأل زيد بن أرقم صلى الله عليه وسلم: كم غزا رسول صلى الله عليه وسلم؟ فقل: "تسع عشرة غزوة": صحيح مسلم: 3/ 1447 حديث رقم: 1254 كتاب الجهاد والسير- باب عدد غزوات النبي صلى الله عليه وسلم، وفي رواية: عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "غزا تسع عشرة غزوة قاتل في ثمان"، المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر ابن أبي شيبة: 2/ 351 حديث رقم: 36646- تحقيق: كمال يوسف الحوت- الناشر: مكتبة الرشد- الرياض

تجنب الحرب" [1] وهي معاهدات قائمة على الرحمة والوفاء والعدل وحب السلم وتقديمه على الحرب، من هذه المعاهدات: صلح الحديبية الذي عقده الرسول صلى الله عليه وسلم مع المشركين "برغم معاناة رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم تسعة عشر عاما كاملة سبقت هذا الصلح، حيث تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه للاضطهاد والتعذيب، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حريصا على إتمام هذه المعاهدة؛ مما يدل على مدى سماحته صلى الله عليه وسلم مع أعدائه وحبه صلى الله عليه وسلم للسلام، إنه مع كل هذه المعاناة التي شاهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم نجده يفكر في الذهاب إلى عقر دار المشركين في سكينة وسلام، ليؤذي مناسك العمرة التي أريها في الرؤيا، ثم يعود إلى المدينة المنورة دون قتال ولا نزال" [2].

فقد روى شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء بن عازب، يقول: كتب علي بن أبي طالب الصلح بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين يوم الحديبية، فكتب: "هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله"، فقالوا: لا تكتب رسول الله، فلو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: "امحه"، فقال: ما أنا بالذي أمحاه، فمحاه النبي صلى الله عليه وسلم بيده، قال: وكان فيما اشترطوا أن يدخلوا مكة، فيقيموا بها ثلاثا، ولا يدخلها بسلاح إلا جلبان السلاح، قلت لأبي إسحاق: وما جلبان السلاح؟ قال: "القراب وما فيه" [3].

(1) مظاهر الرحمة للبشر في شخصية محمد صلى الله عليه وسلم للدكتورة/ سارة آدم: ص: 121 إعداد زيد عمر عبد الله العيص بدون طبعة.

(2) أخلاق الحروب في السنة النبوية، لراغب السرجاني: ص: 221، الناشر/ ط 1- مؤسسة اقرآ- القاهرة، ط 1، 1431 هـ- 2010 م

(3) صحيح البخاري: 3/ 184 حديث رقم: 2698 كتاب الصلح باب: كيف يكتب هذا: ما صالح فلان بن فلان، وفلان بن فلان، وأن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه، صحيح مسلم: 3/ 1409 حديث رقم: 1783 كتاب الجهاد والسير- باب صلح الحديبية في الحديبية واللفظ له

وأن تعجب فعجب قوله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية: (والله، لا تدعوني قريش إلى خطة توصل بها الأرحام، وتعظم فيها الحرمات إلا أعطيتهم إياها) [1] يقول صلى الله عليه وسلم هذا وهم الذين آذوه هو وأصحابه بمكة وأخرجوه منها وحاربوه في حروب عديدة بعد الهجرة وقبل صلح الحديبية إنها رحمة النبوة وأخلاق الرسالة والرغبة في السلم وحقن الدماء.

2. هذا الموقف العظيم الذي حدث في غزوة خيبر عندما جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه يسأل النبي صلى الله عليه وسلم أيبدأ المشركين بالقتال والحرب فأبى النبي صلى الله عليه وسلم، وأمره أن يبدأ بالسلم قبل الحرب، بالرحمة قبل القسوة، بالأمن قبل الخوف، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه يوم خيبر: "انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من أن يكون لك حمر النعم" [2].

"فالرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف وهو القائد، وكان من المتوقع أن يلهب حماس جنده، راح صلى الله عليه وسلم يهدئ من حماسة على رضى الله عنه ويأمره ومن معه بالهدوء في الأمر كما هو واضح في قوله: "انفذ على رسلك "ويأمرهم بدعوة هؤلاء القوم إلى الإسلام، وما يجب عليهم نحو الله– سبحانه وتعالى– ثم هو صلى الله عليه وسلم يخبرهم بالأجر العظيم المترتب على هداية فرد واحد مما يجعل هم الكتيبة المسلمة ليس القتل

(1) مسند الإمام الأحمد: 31/ 212، 213 حديث رقم: 18910، صحيح البخاري: 3/ 193 حديث رقم: 2731 كتاب الجهاد والسير، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط.

(2) صحيح البخاري: 4/ 60 حديث رقم: 3009 كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، صحيح مسلم: 4/ 1871 حديث رقم: 2404 كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنه، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه

وسفك الدماء، وإنما هداية البشر إلى الله، حتى ينالوا هذا الأجر العظيم والثواب الجزيل من رب العالمين" [1].

وفي رواية أخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي: "لا تقاتل قوما حتى تدعوهم" [2] فتأمل كيف قدم النبي صلى الله عليه وسلم الرحمة على القسوة والسلم على الحرب إنها فعلا أخلاق النبوة الراقية، و"هذا الحديث قاعدة مهمة في دعوة الكفار إلى الإسلام قبل قتالهم، فإن استجابوا فيها ونعمت، وإلا فرضت عليهم الجزية، (إن كانوا من أهلها) فإن رفضوا قوتلوا، وعلى هذا جرى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه" [3] تقديما للسلم على الحرب، رحمة بمخالفيهم، ورأفة بهم.

3. ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع المخالفين له من يهود بني النضير، حيث عرض عليهم الإسلام والسلم قبل الحرب والإجلاء، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه، قال: بينما نحن في المسجد، خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "انطلقوا إلى يهود"، فخرجنا حتى جئنا بيت المدارس، فقال: "أسلموا تسلموا، واعلموا أن الأرض لله ورسوله، وأني أريد أن

(1) الرحمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم لراغب السرجاني ص: 266 الطبعة الأولى: 1430هـ- 2009 م

(2) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني: 5/ 217 حديث رقم: 9424 كتاب الجهاد، باب دعاء العدو تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي الناشر: المجلس العلمي- الهند- المكتب الإسلامي- بيروت، ط 2، 1403 هـ. وقال الألباني: وإسناده صحيح، ولكنه معضل أو مرسل، وقد وصله الطبراني في "الأوسط "من حديث آنس، فقد ذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (5/ 305) مختصرا نحوه، وقال: "رواه الطبراني في "الأوسط"، ورجاله رجال "الصحيح" غير عثمان بن يحيى القرقساني، وهو ثقة "سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها محمد ناصر الدين الألباني 6/ 293 حديث رقم: 2641، الناشر: مكتبة المعارف- الرياض، الطبعة الأولى

(3) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني: 6/ 295

أجليكم من هذه الأرض، فمن يجد منكم بماله شيئا فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله" [1].

فتأمل كيف عرض الرسول صلى الله عليه وسلم على هؤلاء اليهود السلم قبل الحرب، والأمان قبل الخوف.

4. وصيته صلى الله عليه وسلم لأمرائه وقادة جيوشه من الصحابة، بأن ينتهجوا هذا المنهج مع أعدائهم، وهو تقديم السلم وعرض الإسلام قبل الحرب والقتال، رحمة بهم في الدنيا والآخرة:

فعن سليمان بن بريدة، عن أبيه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا أمر أميرا على جيش، أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرا، ثم يقول: "... وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال- أو خلال [2]- فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك، فاقبل منهم، وكف عنهم..." الحديث" [3] فتدبر كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقدم في وصيته لأمرائه وقادته جيوشه الدعوة إلى السلم وحقن الدماء للحيلولة دون وقوع الحرب

(1) صحيح البخاري: 4/ 99 حديث رقم: 3167 كتاب الجهاد والسير: باب: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لليهود: "أسلموا تسلموا"، صحيح مسلم: 3/ 1387 حديث رقم 1765: كتاب كتاب الجهاد والسير: باب إجلاء اليهود من الحجاز

(2) "إلى ثلاث خلال"، الخلال: جمع خلة، المراد بها الخصال، وفسر الثلاث بقوله: "ادعهم إلى الإسلام" إلى آخره، والمراد دعوتهم قبل القتال انظر: التحبير لإيضاح معاني التيسير لمحمد الأمير: 3/ 44، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض ط 1، 1433 هـ- 2012 م

(3) صحيح مسلم: 3/ 1357 حديث رقم: 1731 كتاب الجهاد والسير- باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، واللفظ له، سنن الترمذي: 3/ 214 حديث رقم: 1617 كتاب السير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب ما جاء في وصيته صلى الله عليه وسلم في القتال وقال حديث حسن صحيح.

وإسالة الدماء، رحمة بمخالفيه، وفي الحديث دليل على: "وجوب تقديم دعاء الكفار إلى الإسلام قبل المقاتلة" [1].

أين هذا مما تقوم به تلك الجماعات والتنظيمات الضالة المضلة أمثال داعش [2] والحوثيين [3] وغيرهما، الذين يشنون الغارات على الآمنين بلا سابق إنذار وبلا رحمة ولا هوادة، فأي دين يتبعون، وعلى أي منهج يسيرون وقد خالفوا رسول رب العاملين: (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (المجادلة: 19)،

(1) نيل الإطار لمحمد بن علي الشوكاني: 7/ 272، الناشر: دار الحديث، مصر ط 1، 1413 هـ- 1993 م.

(2) داعش هي: اختصار للحروف الأولى من كلمات الدولة الإسلامية في العراق والشام.. ويتم إطلاق صفة الدولة علي التنظيم في المناطق التي تسيطر عليها في سوريا (والعراق). وهو تنظيم مسلح إرهابي يدعي أنه يتبنى الفكر السلفي الجهادي (التكفيري) ويدعي المنضمون إليه أنه يهدف إلى إعادة ما يسمونه "الخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة"، يتخذ من العراق وسوريا مسرحا لعملياته (وجرائمه). نبت تنظيم "داعش" عبر السجون الأمريكية في العراق، حيث حدث تواطؤ كبير بين إيران ونظام "المالكي" مع أمريكا من أجل إطلاق هذا الوحش الجديد، تشكل تنظيم "داعش" الإرهابي في أبريل عام 2013 م، انظر: جريدة أخبار مصر الإلكترونية على هذا الرابط:
http://www.egnews.net/%D9%85%D9%86-%D9%87%D9%88%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85

(3) حركة تمرد باطنية تأسست في صعدة شمال اليمن. انشقت عن المذهب الزيدي. تسير على نمط (حزب الله) في لبنان دينيا وسياسيا. يعتنقون أفكار وعقائد الرافضة الاثني عشرية ينتسبون إلى زعيم التمرد الأول حسين بدر الدين الحوثي. يسمون أنفسهم تنظيم "الشباب المؤمن". زعيمهم الروحي: هو بدر الدين بن أمير الدين بن الحسين بن محمد الحوثي ولد في 17 جمادى الأولى سنة (1345هـ) بمدينة ضحيان، ونشأ في صعدة وقائدهم الأول: هو حسين بدر الدين الحوثي.. هو الابن الأكبر لبدر الدين الحوثي. القائد الثاني للحوثيين: هو عبد الملك الحوثي ولد في صعدة عام 1979، موقع طريق الإسلام على هذا الرابط-http://ar.islamway.net/article/5573/%D9%85%D9%86-D9%87%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%88%D8%AB%D9%8A%D9%88%D9%86

المطلب الثاني

رحمته صلى الله عليه وسلم في استجابته لتوسلات أعدائه وقبول المفاوضة معهم

من رحمته صلى الله عليه وسلم، بأعدائه أنه كان يستجيب لتوسلات الأعداء ويحاورهم، ويتفاوض معهم، ففي غزوة بني قريظة لما أصبحوا وأعلن عن نزول بني قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، توافد رجال الأوس على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت، وهو أنه وهب بني قينقاع لابن أبي الخزرجي لما ألح عليه في ذلك شافعا فيهم بوصفهم مواليه أي أحلاف الخزرج، فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه: "ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟ " قالوا: "بلى"، فقال "فذلك إلى سعد بن معاذ" وفي نفس الغزوة لما أعدم النبي صلى الله عليه وسلم، زولا على حكم سعد بن معاذ فيهم- كل من أنبت الشعر واحتلم من ذكران بني قريظة، إلا رفاعة، فقد استوهبته سلمى بنت قيس أم المنذر النجارية النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: "بأبي أنت وأمي يا رسول الله، هب لي رفاعة فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل، فوهبه لها، فاستحيته" [1].

وعند فتح مكة سمع أبو سفيان سعد بن عبادة يقول اليوم يوم الملحمة! اليوم تستحل الحرمة! اليوم أذل الله قريشا! فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا حاذى أبا سفيان ناداه: يا رسول الله، أمرت بقتل قومك؟ زعم سعد ومن معه حين مر بنا قال: "يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة! اليوم تستحل الحرمة! اليوم أذل الله قريشا!" واني أنشدك الله في قومك، فأنت أبر الناس، وأرحم الناس، وأوصل الناس. قال عبد الرحمن بن عوف وعثمان

(1) القصة بطولها في السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام: 3/ 239- 244، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، وهذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب لأبي بكر الجزائري: ص: 217- 220 ط: دار الشروق- جدة، وأصل القصة في صحيح البخاري: 5/ 111 حديث رقم: 4121، 4122، كتاب المغازي- باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب.

بن عفان: يا رسول الله، ما نأمن سعدا أن يكون منه في قريش صولة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اليوم يوم المرحمة! اليوم أعز الله فيه قريشا! قال: وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد فعزله، وجعل اللواء إلى قيس بن سعد" [1].

فتوسل أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشده بالله تعالى وذكر ببعض صفاته وأخلاقه صلى الله عليه وسلم بأنه أكثر الناس برا وأعظمهم رحمة وأوصلهم رحما فقبل النبي صلى الله عليه وسلم توسلاته ومناشدته ولم يغر على قريش ولم يقاتلهم وما ذلك إلا رحمة بهم وبذويهم ومراعاة لحرمة مكة المكرمة، ورفض قول سعد رضي الله عنه بأن يوم الفتح يوم الملحمة ووصفه صلى الله عليه وسلم بيوم المرحمة الذي رحم فيه أهل مكة وعفا عنهم وأطلق سراحهم.

المطلب الثالث

رحمته صلى الله عليه وسلم في منع التمثيل بجثث القتلى

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم من يقاتله من الأعداء ويحترم تكريم الله له بوصفه إنسانا فحذر من التنكيل به ومن تشويه خلقته وصورته أو قطع شيء من أعضائه قبل قتله أو بعده مع أنه عدوه وكان يسعى إلى قتله وقتل أصحابه لكنه القلب الرحيم والخلق الكريم، وقد ورد النهي عن التمثيل بجثث القتلى في أحاديث كثيرة منها:

ما رواه بريدة بن الحصيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أمر أميرا على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا. ثم قال: "اغزوا باسم الله. وفي سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله. اغزوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا" [2]. "وفي هذه الكلمات من الحديث فوائد مجمع عليها، وهي تحريم

(1) القصة بأكملها في المغازي للواقدي: 2/ 220- 225، الناشر: دار الأعلمي- بيروت، ط 3، 1409/ 1989، وأصل القصة في صحيح البخاري: 5/ 146، 147 حديث رقم: 4280 كتاب المغازي- باب: أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح؟.

(2) صحيح مسلم: 3/ 1357 حديث رقم: 1731 كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الأمام الآمراء على البعوث واللفظ له، سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي: 3/ 214 حديث رقم: 1617 كتاب السير عن رسول الله صلى الله

الغدر وتحريم الغلول وتحريم قتل الصبيان إذا لم يقاتلوا، وكراهة المثلة، واستحباب وصية الإمام أمراءه وجيوشه بتقوى الله تعالى والرفق بأتباعهم وتعريفهم ما يحتاجون في غزوهم وما يجب عليهم، وما يحل لهم، وما يحرم عليهم، وما يكره، وما يستحب قوله صلى الله عليه وسلم" [1].

وما رواه عبد الله بن يزيد الأنصاري، قال: "نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النهبى [2] والمثلة [3].."[4].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا، فيأمرنا بالصدقة، وينهانا عن المثلة" [5].

وما جاء في هذا الحديث الصريح المتفق عليه الذي حذر فيه النبي صلى الله عليه وسلم من ضرب الوجه لشرفه ولما فيه من المثلة، فيقول صلى الله عليه وسلم: "إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه" [6]، "قال العلماء هذا تصريح بالنهي عن ضرب الوجه لأنه لطيف يجمع المحاسن، وأعضاؤه نفيسة لطيفة وأكثر الإدراك بها فقد يبطلها ضرب الوجه، وقد

عليه وسلم –باب ما جاء في وصيته صلى الله عليه وسلم في القتال وقال حديث حسن صحيح الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر،.

(1) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ليحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676 هـ): 12/ 37.، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط 2،

(2) النهبى بضم النون وسكون الهاء ثم بالموحدة مقصور أي آخذ مال المسلم قهرا جهزا ومنه آخذ مال الغنيمة قبل القسمة اختطافا بغير تسوية، انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: 9/ 644 الناشر: دار المعرفة– بيروت، 1379

(3) المثلة هي: "تشويه خلقة القتيل والتنكيل به، يقال: مثلت بالقتيل، إذا جدعت آنفه، أو آذنه، آو مذاكيره، أو شيئا من أطرافه. والاسم: المثلة.، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، للمبارك محمد ابن الأثير: 4/ 294– الناشر: المكتبة علمية– بيروت

(4) صحيح البخاري: 3/ 135 حديث رقم: 2474 كتاب المظالم والغصب، باب النهبى بغير إذن صلاحيه.

(5) مسند الأمام أحمد: 33/ 202، حديث رقم: 19997، وقال المحقق: إسناده صحيح، سن أبي داود لسليمان بن الأشعث السجستاني: 4/ 301 حديث رقم: 2667 كتاب الجهاد، باب في النهي عن المثلة.، الناشر: دار الرسالة العالمية، وقال المحقق: إسناده حسن

(6) صحيح البخاري: 3/ 151 حديث رقم: 2559 كتاب العتق، باب إذا ضرب العبد فليجتنب الوجه، صحيح مسلم: 4/ 2016 حديث رقم: 2612 كتاب البر والصلة والآداب– باب النهي عن ضرب الوجه

ينقصها، وقد يشوه الوجه والشين فيه فاحش، لأنه بارز ظاهر، لا يمكن ستره، ومتى ضربه لا يسلم من شين غالبا ويدخل في النهي إذا ضرب زوجته أو ولده أو عبده ضرب تأديب فليجتنب الوجه" [1].

"وبرغم ما حدث في غزوة أحد من تمثيل المشركين بحمزة عم الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه صلى الله عليه وسلم لم يغير مبدأه، بل إنه صلى الله عليه وسلم هدد المسلمين تهديدا خطيرا إن قاموا بالتمثيل بأجساد قتلى الأعداء، فقال: "أشد الناس عذابا يوم القيامة، رجل قتله نبي، أو قتل نبيا، وإمام ضلالة، وممثل من الممثلين [2]". ولم ترد في تاريخ رسول الله صلى الله عليه وسلم حادثة واحدة تقول بأن المسلمين مثلوا بأحد من أعدائهم. [3]"

"وهذه النصوص ظاهرة في النهي عن المثلة، والأصل في النهي التحريم، فلا يجوز التمثيل بالكافر، بل يكتفى بقتله المعتاد في المعارك بضربه بالسيف أو طعنه بخنجر أو رميه بتتر أو قذيفة أو نحو ذلك، ولا يزاد على ذلك بقطع بعض أطرافه أو جذع أنفه وما أشبه ذلك [4]".

لكن "الملاحظ في حروب الجماعات التي تسمى بالجهادية الإسلامية أنهم يغالون في التمثيل بالجثث بعد القتل بأبشع الطرق، كقطع الرؤوس ووضعها على صدور القتلى، بل اللعب بالرؤوس المقطوعة، وتشويه جثث القتلى بالرصاص، وهذا مخالف للتعاليم النبوية الصريحة التي تؤكد على النهي عن التمثيل بالجثث" [5].

---

(1) شرح صحيح مسلم للنووي: 6/ 165

(2) مسند الأمام أحمد: 6/ 314 حديث رقم: 3867، وقال المحقق: إسناده حسن

(3) أخلاقيات الحروب في الإسلام متاح على هذا الرابط لراغب السرجاني: http:www.ansarsunna.com/vb/showthread.php?t=10846

(4) شرح كتاب الجهاد من (صحيح الترغيب والترهيب) لعبد الله قادري الأهدل الفرع الثاني: آداب القتال في أثناء المعركة ص: 87 متاح على هدا الرابط http://www.saaid.net/Doat/ahdal/016.htm

(5) آداب الحرب في الإسلام لأحمد هاشم: متاح على هذا الرابط: http://www.mas_rawy.com/Is-lameyat/Makalat-Other/details/2015/2016/46461

المطلب الرابع

رحمته صلى الله عليه وسلم في منع استخدام الوسائل المحرمة في القتل

من منطلق رحمته صلى الله عليه وسلم حث على الإحسان في قتل المحارب وغيره ممن يباح قتله، ونهى عن عدم تعذيب المقتول ما دام أنه يمكن قتله دون أن يبالغ في تعذيبه، فقال: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته" [1]. "والإحسان في قتل ما يجوز قتله من الناس والدواب: إزهاق نفسه على أسرع الوجوه، وأسهلها، وأرجاها من غير زيادة في التعذيب، فإنه إيلام لا حاجة إليه. وهذا النوع هو الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث، ولعله ذكره على سبيل المثال، أو لحاجته إلى بيانه في تلك الحال،... والقتلة والذبحة بالكسر، أي الهيئة، والمعنى: أحسنوا هيئة الذبح، وهيئة القتل، وهذا يدل على وجوب الإسراع في إزهاق النفوس، التي يباح إزهاقها على أسهل الوجوه... وأسهل وجوه قتل الآدمي ضربه بالسيف على العنق، قال الله تعالى في حق الكفار:

(إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) (الأنفال: 12)، وقد قيل: إنه عين الموضع الذي يكون الضرب فيه أسهل على المقتول، وهو فوق العظام ودون الدماغ " [2].

(1) صحيح مسلم: 3/ 1548 حديث رقم 1955، كتاب الصيد والذبائح- باب الآمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة

(2) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلي: 1/ 382، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت

وهناك وسائل تقتل بل وتفتك بالمقتول وتؤلمه ألما شديدا مدة من الزمن حتى يموت تنافي هذا الإحسان ورحمة النبي اقتضت أن يحذر تحذيرا شديدا من استخدامها في الحرب وهي القتل بالحرق أو القتل صبرا [1].

وفيما يلي بعض مظاهر رحمته صلى الله عليه وسلم في النهي عن استخدام الوسائل المحرمة في القتل في أثناء الحرب:

أولا: رحمته صلى الله عليه وسلم في النهي عن استخدام الحرق في القتل:

لقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل العدو حرقا بالنار رحمة ورأفة به وتخفيفا من آلامه فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعث [2]، فقال: "إن وجدتم فلانا وفلانا [3]، فأحرقوهما بالنار "ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أردنا الخروج: "إني أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا، وإن النار لا يعذب بها إلا الله، فإن وجدتموهما فاقتلوهما" [4].." وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تعذبوا بعذاب الله" [5] فتأمل هذا الحديث الذي أمر فيه النبي صلى الله عليه وسلم قال بقتل هذين الرجلين حرقا بعد ذلك رق قلبه صلى الله عليه وسلم قال عليه عليهما فنهى عن حرقهما.

---

(1) القتل الصبر هو: أن يحبس الرجل حيا أو يوثق ثم يستهدف بالسهام أو النبال حتى يقتل قهرا: عمدة القاري شرح صحيح البخاري لمحمود بن أحمد المعروف بالبدر العيني: 21/ 142، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت

(2) وفي رواية "في سرية ": سنن أبي داود: 4/ 307 حديث رقم: 2673 كتاب الجهاد– باب في كراهية حرق العدو بالنار

(3) هما هبار بن الأسود وأبو العاص بن الربيع: فتح الباري لابن حجر العسقلاني: 6/ 149، 150 الناشر: دار المعرفة– بيروت

(4) صحيح البخاري: 4/ 61 حديث رقم: 3016 كتاب الجهاد والسير– باب لا يعذب بعذاب الله، سنن الترمذي: 3/ 189، حديث رقم: 1571 أبواب الأضاحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: حديث حسن صحيح

(5) صحيح البخاري: 4/ 62 حديث رقم: 3017 كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله.

أين هذه الرحمة من تلك الجرائم البشعة التي يقوم أعداء الإسلام ضد المسلمين من التحريق والإبادة الجماعية والتفجيرات الحارقة والأسلحة الفتاكة التي يمارسونها ضد المسلمين الأبرياء العزل الذين لا حول لهم ولا قوة مثل ما يحدث في بورما وما حدث ويحدث في غيرها ولم يجرؤ أحد من الغرب الذين يدعون كذبا: أنهم يحافظون على حقوق الإنسان [1] على وصفهم بالإرهاب مع أنه هو الإرهاب بشحمه ولحمه.

ثم أين هذا مما يفعله بعض من يتنمون إلى الإسلام كأولئك الذين يقتلون شعوبهم بالمتفجرات أو ببراميل البترول الحارقة، ثم أين هذا مما يفعله بعض المحسوبين على الإسلام من تفجير للمساجد وحرق للأبرياء من المسلمين، لأنهم يعدونهم كفرة ويفتون بتل ذلك أمثال داعش وغيرها [2] ولم يقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم قال في رحمته ورأفته ورفقه سلما وحربا وقد قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21)) (الأحزاب: 21)، بل نزعت من قلوبهم الرحمة وزاغت أبصارهم وعميت بصائرهم وضلت عقولهم حتى صاروا كالأنعام بل هم أضل سبيلا وحسبي الله ونعم الوكيل.

ثانيا: رحمته صلى الله عليه وسلم قال في التحذير من القتل صبرا:

لقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم قال، تحذيرا شديدا ونهى نهيا أكيدا عن قتل العدو صبرا أي عن طريق حبسه أو توثيقه بالوثاق واستهدافه بالسلاح لأن هذه أعمال ينافي الرحمة والإحسان في القتل، لما فيه من تعذيب للمقتول وقهر له وزيادة تحسره لفقدانه الأمل في النجاة حيث إنه يرى موته بعينيه ولا يستطيع الفرار:

---

(1) لعلهم يقصدون بالإنسان غير المسلم، كما هو ملاحظ من خلال إدانتهم للصغائر من الجرائم قبل الكبائر إذا ارتكبت ضد أحد من غير المسلمين، وصم بكم عمي عن جرائم الإبادة التي ترتكب ضد المسلمين في معظم البلاد

(2) انظر: جريدة الوطن الإلكترونية بتاريخ: 3/ 2/ 2015م على هذا الرابط http://www.elwatannews.com/news/details/654891

فعن عبيد بن يعلي قال: غزونا مع عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فأتى بأربعة أعلاج [1] من العدو فأمر بهم فقتلوا صبرا بالنبل فبلغ ذلك أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه فقال: "سمعت رسول ينهى عن قتل الصبر فو الذي نفسي بيده لو كانت دجاجة ما صبرتها فبلغ ذلك عبد الرحمن الله فأعتق أربع رقاب" [2].

وعن عبد الله بن مطيع، عن أبيه، قال: "سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول يوم فتح مكة: "لا يقتل قرشي صبرا بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة" [3] أي لا تقتلوا قرشيا صبرا لأن: "النفي- في الحديث- بمعنى النهي وهو أبلغ من صريح النفي" [4].

فهل يعقل بعد هذا التحذير من القتل صبرا أن تأتي تنظيم أمثال داعش محسوب على المسلمين برجل مسلم وتحبسه في قفص من حديد، وتشعل فيه النيران، حتى الموت، ويفتون بحل ذلك [5] من هم هؤلاء؟ وإلى أي دين ينتمون؟ وبمن يقتدون؟ إنهم قد أساؤوا إلى الإسلام أيما إساءة، وشوهوا صورته وهو الذي جاء بالسلام والأمان والرفق والرحمة والإحسان، حتى بالأعداء وليس بأبناء الدين فقط.

(1) أعلاج: جمع علج وهو: الرجل من كفار العجم وغيرهم. النهاية في غريب الحديث والآثر لابن الأثير: 3/ 287.

(2) مسند الأمام أحمد: 38/ 561 حديث رقم: 23590، سنن أبي داود: 323 حديث رقم: 2687 باب في قتل الأسير بالنبل، وقال المحقق (شعيب الآرناؤوط): صحيح لغيره

(3) صحيح مسلم: 3/ 1409 حديث رقم: 1782 كتاب الجهاد والسير- باب لا يقتل قرشي صبرا بعد الفتح

(4) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، لشرف الدين الطيبي: 12/ 3837، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة- الرياض)

(5) انظر: جريدة الوطن الإلكترونية بتاريخ: 3/ 2/ 2015 م على هذا الرابط: http://www.elwatnnews.com/news/details/654891

المطلب الخامس

رحمته صلى الله عليه وسلم في تأمين مصابي الحرب والفارين منها والمستسلمين

عندما كانت تدور رحى الحرب بين المسلمين والأعداء المخالفين في عهد الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم وعلى الرسل أجمعين كان يصاب أحيانا بجروح بعض الأعداء المحاربين وقد يفر البعض خوفا من أن يكون من الهالكين، وقد يصبح البعض الآخر من المستسلمين لعدم رغبته في الاستمرار في حرب المؤمنين، أو لانهزامه أمام جنود الله المقاتلين فهل كان النبي صلى الله عليه وسلم يستغل هذه الظروف، التي يتعرض لها هؤلاء الأعداء المجرمين مع ما فيها من مظاهر ضعف وذلة ومهانة لهؤلاء الكافرين فيأمر بقتلهم أجمعين؟ بالطبع لا، وهو الذي أرسل رحمة للعالمين، بل كان صلى الله عليه وسلم ينهى عن قتلهم فيصبحوا من الآمنين، لأن رحمته صلى الله عليه وسلم تأبى استغلال ظروف المصابين ورأفته تقتضي ألا يجهز على الفارين، أو يحارب المستسلمين، ولا يقاتل عدوه إلا إذا كان من المقاتلين، وكانوا في موطن قوة، وليسوا من الضعفاء المستكينين أو عن الحرب غافلين، والأصل في هذا الباب ما رواه أبو سفيان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح المبين: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن" [1] وزاد أبو داود بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ومن دخل المسجد فهو آمن فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد" [2] وقد استدل العلماء بهذا الحديث "على عدم جواز مقاتلة البغاة إذا كانوا في بيوتهم، أو طلبوا منا الأمان لأنهم إذا أغلقوا على أنفسهم فليسوا ببغاة في ذلك الوقت، واتصافهم بذلك الوصف شرط جواز مقاتلتهم، كما في الآية، وإذا طلبوا الأمان، فقد فاءوا إلى أمر الله تعالى، وهي الغاية التي أذن الله بالقتال إلى حصولها وقد حصلت" [3]. ويدل

(1) صحيح مسلم: 3/ 1407 حديث رقم: 1780 كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة
(2) سنن أبي داود: 4/ 634 حديث رقم: 3022 وقال المحقق (شعيب الأرناؤوط): صحيح لغيره
(3) نيل الأوطار للشوكاني: 7/ 201

أيضا: "على أنه لا يجهز على جريحهم بل يترك على ما هو عليه إلا إذا كان المدبر أو الجريح ممن له فئة جاز قتله" [1].

والأصل في هذا الباب- أيضا- ما أخرجه ابن أبي شيبة بسنده عن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال يوم فتح مكة: "ألا لا يقتل مدبرا، ولا يجهز على جريح [2] ومن أغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن" [3].

وقد أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة عندما أكرمه الله عز وجل بالفتح المبين وأطلق سراحهم لما جاءوا إليه مستسلمين وعفا عنهم ورحمهم ولم يعاملهم بالمثل أجمعين فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما فتح مكة: "يا معشر قريش، ما تقولون؟ " قالوا: نقول: ابن أخ، وابن عم رحيم كريم، ثم عاد عليهم القول، قالوا مثل ذلك، قال: "فإني أقول كما قال أخي (لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) (يوسف: 92)، فخرجوا فبايعوه على الإسلام" [4].

يقول المستشرق الأمريكي واشنجتون إيرقنج مادحا موقف النبي صلى الله عليه وسلم من أهل مكة بعد فتحه لها: "كانت تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم في أعقاب فتح مكة تدل على أنه نبي مرسل لا على أنه قائد مظفر، فقد أبدى رحمة وشفقة على مواطنيه برغم أنه أصبح في مركز قوي، ولكنه توج نجاحه وانتصاره بالرحمة والعفو" [5] والفضل ما شهدت به الأعداء.

---

(1) المرجع السابق

(2) آي لا يقتل جريح: يقال أجهز على الجريح يجهز، إذا أسرع قتله، النهاية في غريب الحديث والأثر: 1/ 322

(3) المصنف لابن أبي شيبة: 6/ 498 حديث رقم: 33276، وأورد مثله ابن حجر عن علي رضي الله عنه موقوفا، وعزاه لابن أبي شيبة وصحح إسناده: فتح الباري: 13/ 57

(4) السنن الكبرى لأحمد بن شعيب النسائي: 10/ 154 حديث رقم: 11234 كتاب التفسير- باب قوله تعالى: (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) الإسراء: 81)، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت

(5) قالوا عن الإسلام لعماد الدين خليل: ص: 94 الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض ط 1، 1412هـ- 1992م

المبحث الثاني

رحمته صلى الله عليه وسلم في حماية المستكرهين على الحرب والمستأمنين

قد يكره بعض الأعداء على قتال المسلمين أو يطلب بعضهم الأمن والأمان وهؤلاء وهؤلاء عمتهم رحمة النبي صلى الله عليه وسلم فنهى عن قتل المكره على الحرب، وأمن المستأمن على نفسه وماله وعرضه، كما سيتضح في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول

رحمته صلى الله عليه وسلم في حماية المستكرهين على الحرب

المستكرهون هم الذين لا رغبة لهم في الحرب وإنما خرجوا إليها عنوة وإكراها وهؤلاء- أيضا- وسعتهم رحمة النبي صلى الله عليه وسلم فحرص على حياتهم ونهى عن قتلهم: "من ذلك ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر حيث نهى عن قتل من خرج مستكرها من المشركين برغم أن ذلك في ميدان القتال والحرب والمتعارف عليه عند جميع البشر أن من يقاتلك تقاتله ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يأخذ بروح القاعدة وليس بنصها لذا فهو يأسر المستكره لكي يجتنب مقاتلته ويجنبه القتال أيضا لكن لا يقتله إلا إذا أصر على القتال" [1] فقد روى عبد الله ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر "إني قد عرفت أن رجالا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله

(1) راغب السرجاني: الرحمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ص: 290

صلى الله عليه وسلم فلا يقتله، فإنه إنما خرج مستكرها" [1] فهل هناك رحمة أعظم من هذه؟ كيف لا وهو الرؤوف الرحيم الذي فاقت رحمته رحمة بني البشر.

المطلب الثاني

رحمته صلى الله عليه وسلم في حماية المستأمنين

المستأمنون جمع مستأمن، وهو "من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام في أداء رسالة أو تجارة أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية أو مستجيرا، أو نحو ذلك من الأسباب، وطلب من الإمام أو نائبه أمانا أعطي أمانا ما دام مترددا في دار الإسلام، وحتى يرجع إلى مأمنه ووطنه، ويعرض على المستجير منهم الإسلام والقرآن، فإن دخل فيه فذاك، وان أحب اللحاق بمأمنه ألحق به، ولم يعرض له قبل وصوله إليه، فإذا وصل مأمنه عاد حربيا كما كان" [2]، ولقد شملت رحمة النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء المستأمنين وعمتهم رأفته فأمن من طلب الأمان منهم على نفسه وماله وأجار من استجاره صلى الله عليه وسلم كما أمره ربه جل جلاله في قوله: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ) (التوبة: 6) وقد دلت الآية على "أن المستأمن لا يؤذي، بل يجب على المسلمين حمايته في نفسه وماله وعرضه ما دام في دار الإسلام.." [3]

---

(1) السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير) إسماعيل بن عمر أبو الفداء الدمشقي: 2/ 436 تحقيق: مصطفى عبد الواحد– الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت– لبنان، وأخرجه مختصرا الحاكم في المستدرك على الصحيحين: 3/ 240 حديث رقم: 4988

(2) مجموع الفتاوى، لأحمد ابن تيميه: 28/ 378، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 4/ 100، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، أحكام آهل الذمة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية: 2/ 874، الناشر: رمادي للنشر، الدمام

(3) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي: 6/ 210– 211 الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة– القاهرة

وهذا ما طبقة النبي صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا كما سيتضح فيما يلي مظاهر رحمته صلى الله عليه وسلم بالمستأمنين:

من مظاهر رحمته صلى الله عليه وسلم بالمستأمنين ما يلي:

1. إعلان النبي صلى الله عليه وسلم براءته ممن يقتل المستأمن أو يغدر به وترهيب المسلمين من ذلك فقال: "أيما رجل أمن رجلا على دمه ثم قتله، فأنا من القاتل بريء وان كان المقتول كافرا" [(1)]، وزاد الأمر ترهيبا وتحذيرا فقال صلى الله عليه وسلم: "من آمن رجلا على دمه، فقتله، فإنه يحمل لواء غدر يوم القيامة" [(2)].

2. تأمينه صلى الله عليه وسلم لرسل قريش يوم الحديبية قال ابن كثير: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي الأمان لمن جاءه مسترشدا أو في رسالة كما جاءه يوم الحديبية جماعة من الرسل من قريش، منهم عروة بن مسعود ومكرز بن حفص وسهيل بن عمرو وغيرهم، واحدا بعد واحد يترددون في القضية بينه وبين المشركين فرأوا من إعظام المسلمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهرهم وما لم يشاهدوه عند ملك ولا قيصر، فرجعوا إلى قومهم وأخبروهم بذلك، وكان ذلك وأمثاله من أكبر أسباب هداية أكثرهم" [(3)].

3. تأمينه صلى الله عليه وسلم لرسولي مسيلمة الكذاب على أنفسهما مع أنهم كافرون به مؤمنون بمسيلمة الكذاب، مدعي النبوة فعن عبد الله بن مسعود، قال: "جاء ابن

(1) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لمحمد بن حبان بن أحمد ترتيب: الأمير علاء الدين علي الفارسي: 13/ 320 حديث رقم 5982، الناشر: مؤسسة الرسالة، وقال المحقق: إسناده حسن

(2) سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد المعروف بابن ماجة: 3/ 693 حديث رقم: 2688 أبواب الديات، باب من أمن رجلا على دمه فقتله تحقيق: شعيب الأرناؤوط- الناشر: دار الرسالة العالمية، وقال المحقق: إسناده صحيح

(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 4/ 100، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام: 2/ 311- 314.

النواحة وابن أثال رسولا مسيلمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لهما: "أتشهدان أني رسول الله؟"، قالا: نشهد أن مسيلمة رسول الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "آمنت بالله ورسله، لو كنت قاتلا رسولا لقتلتكما "قال عبدا لله: فمضت السنة أن الرسل لا تقتل" [1].

4. إجارته صلى الله عليه وسلم من أجاره بعض المسلمين، وتأمينه على نفسه وماله وعرضه، وإسماعه لكلام الله تعالى، فقد أجار الله صلى الله عليه وسلم رجلا كانت قد أجارته أم هانئ بنت أبي طالب يوم فتح مكة فجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له بعد أن سلمت عليه: "يا رسول الله، زعم ابن أمي أنه قاتل رجلا قد أجرته، فلان ابن هبيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ" [2].

(1) مسند الأمام أحمد: 6/ 306 حديث رقم: 3761 وقال المحقق (شعيب الآرناؤوط): حديث صحيح

(2) صحيح البخاري: 1/ 80، 81 حديث رقم: 357 كتاب الصلاة، باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفا به، صحيح مسلم: 1/ 498 حديث رقم: 336 ب كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى.

المبحث الثالث

رحمته صلى الله عليه وسلم في حماية المدنيين في أثناء الحرب

المدنيون هم الذين لا رغبة لهم في الحرب من كبار السن والنساء والأطفال والعباد أصحاب الصوامع والعلماء المنقطعين للعلم والعمال المستأجرين وغيرهم وتظهر رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول

رحمته صلى الله عليه وسلم بالمدنيين في عدم الإغارة على العدو ليلا حتى لا يروعهم

من رحمته صلى الله عليه وسلم، بأعدائه أنه كان لا يطاردهم ولا يهاجمهم ليلا حتى لا يروع مرضاهم وأطفالهم ونساءهم وكبار السن منهم وغيرهم من المدنيين، وحتى لا يأخذهم على حين غفلة من أمرهم وكان هذا ديدنه صلى الله عليه وسلم مع أعدائه في الحروب، ونلاحظ أنه يفعل معهم هذا وهم أعداؤه الذين لو ظفروا به أو بأصحابه رضي الله عنهم لقضوا عليهم جميعا، حقا إنها أخلاق النبوة ورحمة الرسالة، فعن أنس رضي الله عنه: "أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى خيبر، فجاءها ليلا، وكان إذا جاء قوما بليل لا يغير عليهم حتى يصبح، فلما أصبح خرجت يهود بمساحيهم [1] ومكاتلهم [2]، فلما رأوه قالوا: محمد والله، محمد والخميس [3]، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الله أكبر، خربت خيبر إنا إذا

(1) بمساحيهم: بسكون الياء جمع مسحاة، وهي المجرفة من الحديد، والميم مكسورة، انظر: فتح الباري لابن حجر: 1/ 130.

(2) المكاتل: وهي الزبيل والقفاف، وهي من آلات الحراث، فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب: 5/ 232، مكتبة الغرباء– المدينة النبوية

(3) الخميس: هو الجيش، وسمي الجيش خميسا. لأنه ينقسم خمس أجزاء: مقدمة، وساقة، وميمنة، وميسرة، وقلب. المرجع السابق نفس الجزء والصفحة

نزلنا بساحة قوم: (فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ) (الصافات: 177)، [1]. "وفي هذا الحديث فوائد كثيرة: منها: أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان لا يغير على العدو، والإغارة: تبيت العدو ليلا ومنها– وهو المقصود بهذا الباب أنه صلى الله عليه وسلم– كان يجعل الأذان فرق ما بين دار الكفر ودار الإسلام، فإن سمع مؤذنا للدار كف عن دمائهم وأموالهم، وأن لم يسمع أذانا أغار عليهم بعد ما يصبح." [2] وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك– أيضا– قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان، فإن سمع أذانا أمسك وإلا أغار فسمع رجلا يقول: الله أكبر الله أكبر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "على الفطرة" ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خرجت من النار" [3].

تأمل هذا وقارن بينه وبين ما يفعله أولئك الإسرائيليون بأهل فلسطين من شن هجمات عليهم بالطائرات والصواريخ في ظلمات الليل وهم نائمون، فتزهق الأرواح، وتقطع الأجساد إربا إربا، ويدمر الأخضر واليابس، وتهدم البيوت على من فيها بلا رحمة ولا رأفة، إنها القسوة التي وصف الله قلوبهم بها في قوله: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (74)) (البقرة: 74) يفعلون كل هذا، ثم يصفون الإسلام والمسلمين بالإرهاب، وهم الذين ابتدعوا هذه البدعة، واستخدموها مع رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا، فهم الذين حاولوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة وحاربوا المسلمين حروبا عسكرية مباشرة أو بمظاهرة أعدائهم عليهم في الحرب ثم أيضا قارن

(1) مسند الأمام أحمد: 20/ 391 حديث رقم: 13140، صحيح البخاري: 4/ 48 حديث رقم: 2945– كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة، واللفظ له

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب: 2/ 232، 233 بتصرف

(3) صحيح مسلم: 1/ 288 حديث رقم: 382، كتاب الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر، إذا سمع فيهم الآذان

بين موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أعدائه في عدم الإغارة عليهم ليلا وهم نائمون ساكنون آمنون مطمئنون هم وأهلوهم وبين أولئك المتأسلمين الذين يحملون السلاح ليل نهار، يقتلون ويذبحون ويغتصبون النساء في وضح النهار، وفي ظلمة الليل، بحجة إقامة دولة إسلامية، والدفاع عن الإسلام، والإسلام منهم برئ أو رغبة في نشر فكر معين أو مذهب معين، ما أنزل الله به من سلطان: ستجد البون بينهم بعيدا والفرق شاسعا فشتان بين من أمده الله برحمة من عنده وأرسله رحمة للعالمين ووهبه اسمين من أسمائه "الرؤوف الرحيم" وبين قست قلوبهم حتى فاقت الصخور في قسواتها.

المطلب الثاني

رحمته صلى الله عليه وسلم في التحذير قتل المدنيين في الحرب

إن قلب النبي صلى الله عليه وسلم الرحيم رحم المدنيين من الأعداء في الحرب ككبار السن والنساء والصبيان والعباد أصحاب الصوامع الذين حبسوا أنفسهم عن الناس، وانقطعوا عنهم، وآمن المسلمون من ناحيتهم، وكذا الأجير المستأجر عند أهل الحرب للعمل والعبيد، الذين لا يشاركون في الحرب ضد المسلمين، وغيرهم ممن لا حول لهم ولا قوة، أو ممن لا رغبة لهم في القتال أو الإعانة عليه قولا أو فعلا، فأبى النبي قتالهم وقتلهم ما لم يقاتلوا أو يشاركوا في تجهيز الجيش أو يظاهروا على حرب المسلمين، متبعا قول الله عز وجل، وهو الأصل في هذا الباب: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (190)) (البقرة: 190). والأصل في هذا الباب من السنة ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محذرا من قتل المدنيين: "انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخا فانيا، ولا طفلا، ولا صغيرا، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم. وأصلحوا (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (195)) (البقرة: 195) [1].

(1) سنن أبي داود: 4/ 256 كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث حسن لغيره.

وما رواه ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث جيوشه قال: "اخرجوا بسم الله، تقاتلون في سبيل الله، من كفر بالله، لا تغدروا، ولا تعفوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع" [1].

وما رواه حنظلة الكاتب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل رجلا إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه في إحدى الغزوات فقال له: "انطلق إلى خالد بن الوليد فقل له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن لا تقتل ذرية ولا عسيفا [2]"[3].

أرأيتم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على أرواح المدنيين الأبرياء من الأعداء المخالفين له في الدين في أثناء الحرب، لذا لم يكن في حروبه صلى الله عليه وسلم ضحايا مدنيين، إلا ما ندر، وبدون علم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا علم بذلك أنكره فعندما رأى ضحية مدنية غضب غضبا شديدا وأنكر على الصحابة هذا الفعل الذي لا يتفق مع الرحمة والرفق، فعن ابن عمر رضي الله عنه: " أن امرأة وجدت في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم مقتولة، فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان" [4]، وفي رواية "فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان" [5]، وقد "أجمع العلماء على العمل بهذا الحديث وتحريم قتل النساء والصبيان إذا

(1) مسند الإمام أحمد: 3/ 218 حديث رقم: 2728 وقال المحقق: إسناده حسن، المصنف لابن أبي شيبة: 6/ 484 حديث رقم: 33132، مسند أبي يعلى لأحمد بن علي بن المثنى، الموصلي: 5/ 59 حديث رقم: 2650، الناشر: دار المأمون للتراث– دمشق، وقال المحقق إسناده صحيح

(2) العسيف هو: الأجير والعبد المستهان به انظر: الفائق في غريب الحديث والآثر لأبي القاسم جار الله الزمخشري: 2/ 523 الناشر: دار المعرفة– لبنان

(3) مسند الأمام أحمد: 29/ 151 حديث رقم: 17610 وقال المحقق: (شعيب الأرناؤوط): صحيح لغيره

(4) صحيح البخاري: 4/ 61 حديث رقم: 3014 كتاب الجهاد والسير، باب قتل الصبيان في الحرب، صحيح مسلم: 3/ 1364 حديث رقم: 1744 كتاب الجهاد والسير– باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب

(5) صحيح مسلم: 3/ 1364 حديث رقم: 1744 كتاب الجهاد والسير، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب

لم يقاتلوا فإن قاتلوا قال جماهير العلماء: يقتلون، وأما شيوخ الكفار فإن كان فيهم رأي قتلوا" [1].

وفي غزوة حنين عندما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الصحابة قد بالغوا في القتل حتى قتلوا الصبيان، غضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وعن ارتكاب مثل هذا الفعل مرة أخرى، فعن الأسود بن سريع، قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزوت معه فأصبت ظهرا، فقتل الناس يومئذ حتى قتلوا الولدان– وقال مرة: الذرية–، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "ما بال أقوام جاوزهم القتل اليوم، حتى قتلوا الذرية" فقال رجل: يا رسول الله، إنما هم أولاد المشركين، فقال: "ألا إن خياركم أبناء المشركين" ثم قال: "ألا، لا تقتلوا ذرية، ألا، لا تقتلوا ذرية" قال: "كل نسمة تولد على الفطرة، حتى يعرب عنها لسانها، فأبواها يهودانها وينصرانها" [2].

هذه هي رحمة النبي صلى الله عليه وسلم وهي رحمة وسعت جميع المدنيين في الحرب، وليت أعداء الإسلام عاملوا المسلمين في الحروب بمثل ما عامل به النبي صلى الله عليه وسلم أسلافهم– من حماية للمدنيين، والحفاظ على أرواحهم، وحقن دمائهم، ولكن نجدهم منذ بزوغ شمس الإسلام وسطوع نوره إلى يومنا هذا لا يألون جهدا في أذى المدنيين الضعفاء الذين لا حول لهم لا قوة، بداية من تعذيب المسلمين الضعفاء نساء ورجالا إلى قتلهم لسمية أم عمار بن ياسر رضي الله عنه [3] وما فعلوه في جميع الحروب التي شنوها ظلما وعداونا على بلاد المسلمين من إزهاق لأرواح المدنيين، والاعتداء عليهم، إلى ما يفعلونه في هذا العصر فتراهم يلقون القذاف بالطائرات ويلقون الصواريخ على مدارس أطفال، فيقتلون الكثير منهم بلا رحمة ولا هوادة، وعلى البيوت، فيقتلون من فيها من الشيوخ والنساء والصبيان بلا ذنب ولا جريرة، غير أنهم مسلمون.

(1) شرح صحيح مسلم للنووي: 2/ 48

(2) مسند الأمام أحمد: 24/ 357 حديث رقم: 15590 وقال المحقق: رجاله ثقات، رجال الشيخين، لكن سماع الحسن من الأسود لا يثبت عند بعضهم

(3) انظر: قصة قتلها عند ابن أبي شيبة في المصنف: 7/ 12 آثر رقم: 33869

المبحث الرابع

رحمته صلى الله عليه وسلم في حماية البيئة في أثناء الحرب

وفيه مطلبان وهما:

المطلب الأول

تعريف البيئة

1. تعريف البيئة في اللغة: البيئة لغة (هي منزل القويم في كل موضع يقال: تبوأت منزلا: أي نزلته، وبوأت للرجل منزلا وبوأته منزلا بمعنى، أي هيأته ومكنت له فيه. واستباءه، أي اتخذه مباءة، وبوأته منزلا، إذا أسكنته إياه) [1].

2. تعريف البيئة في الاصطلاح: البيئة في اصطلاح العلماء كلمة جامعة تشمل جميع مناحي الحياة، وقد تتسع البيئة لتشمل الأرض التي تقلنا، والسماء التي تظلنا، وقد تضيق لتخص بيت الإنسان، وموقع عمله، وسكناه، وهي باختصار: "كل شيء يحيط بالإنسان، من موجودات، من ماء، وهواء، وكائنات حية، وجمادات، وهي المجال الطبيعي الذي يمارس فيه الإنسان حياته، ونشاطاته المختلفة، ليحولها إلى بيئة مشيدة" [2].

---

(1) مجمل اللغة لأحمد بن زكريا المعروف بابن فارس (المتوفى: 395 هـ): 1/ 138 تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري: 1/ 37 تحقيق: أحمد عبد الغفور- الناشر: دار العلم للملايين- بيروت

(2) موقف الإسلام من العبث البيئي، لمولاي المصطفى البرجاوي: مقال على هذا الرابط: K http://www.alukah.net/culture/0/36923/#ixzz3giX49Wei "وانظر: رعاية البيئة في شريعة الإسلام ليوسف القرضاوي" ص: 30 الطبعة الأولى، 1421هـ- 2001 م، ط: دار الشروق

المطلب الثاني

مظاهر رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في حماية بيئة الأعداء عند الحرب

تتمثل حماية الرسول صلى الله عليه وسلم للبيئة عند نشوب الحرب فيما يلي:

مظاهر رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في حماية البيئة في أثناء الحرب:

أولا: رحمته صلى الله عليه وسلم في التحذير العام من الإفساد في الأرض في أثناء الحرب حفاظا على بيئة الأعداء:

لقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الترهيب والتحذير من الإفساد في الأرض في أثناء الحرب حماية للبيئة ومكوناتها ورحمة بالأعداء، حتى تبقى مقومات حياتهم من ماء وزروع ونباتات وحيوانات تنمو وتزداد، ويستغلونها في حياتهم المعيشية فلا يموتون جوعا أو عطشا:

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الغزو غزوان، فأما من ابتغى وجه الله، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد، فإن نومه ونبهه أجر كله، وأما من غزا فترا ورياء وسمعة، وعصى الإمام، وأفسد في الأرض، فإنه لن يرجع بكفاف..." [1].

وهذا الترهيب والتحذير من إفساد البيئة في أثناء الحرب جزء من النهي العام عن الإفساد في الأرض، وتخريب البيئة السليمة، الذي نص عليه الله عز وجل في كثير من آيات القران الكريم من ذلك قوله تعالى: (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا

(1) المستدرك على الصحيحين للحاكم: 2/ 94 حديث رقم: 2435، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي

فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (60)) (البقرة: 60)، وقوله تعالى: (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (56)) (الأعراف: 177)

ثانيا: رحمته صلى الله عليه وسلم في النهي عن إفساد الماء:

إن الماء عنصر مهم من عناصر البيئة وله أهمية كبيرة بالنسبة للبشر، إذ أنه شريان الحياة، ولما له من أهمية للناس بما فيهم الأعداء، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إتلاف هذا العنصر، رحمة بالأعداء وبنسائهم وأطفالهم وشيوخهم ودوابهم، فإنه إذا أتلف بأي وسيلة هلكوا جميعا، وليس هذا هي هدف الرسول صلى الله عليه وسلم من الغزو والحرب، وإنما هدفه صلى الله عليه وسلم كان الهداية أولا ثم قتال من قاتله بلا غدر ولا خديعة، ولا على حين غفلة من أمرهم وفغايته صلى الله عليه وسلم الإصلاح وليس الإفساد، لذا نجده صلى الله عليه وسلم يحذر تحذيرا شديدا وينهى نهيا أكيدا عن إفساد الماء على الأعداء بإلقاء السم فيه فقد روي عن سمرة بن جندب، أن النبي صلى الله عليه وسلم "نهى أن يلقى السم في آبار المشركين" [1]. وكان دائما يحذر صلى الله عليه وسلم جيوشه وسرياه من تغوير أعين الماء في باطن الأرض رحمة بالأعداء، وحماية لهذا العنصر المهم من عناصر البيئة، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيشا من المسلمين إلى المشركين قال: "انطلقوا باسم الله"، فذكر الحديث، وفيه: "ولا تقتلوا وليدا طفلا، ولا امرأة، ولا شيخا كبيرا، ولا تغورن عينا ..." الحديث [2].

(1) سبق تخريجه

(2) السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين أبي بكر البيهقي (المتوفى: 458 هـ): 9/ 154 حديث رقم: 17701 كتاب السير، باب ترك قتل من لا قتال فيه من الرهبان والكبير وغيرهما المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، أخرجه بإسناده، ثم قال: في هذا الإسناد إرسال وضعف، وهو بشواهده مع ما فيه من الآثار يقوى، والله أعلم

ثالثا: رحمته صلى الله عليه وسلم في النهي عن قطع الأشجار وهدم البيوت وذبح الحيوانات، بلا وجه حق:

إن من مكونات البيئة الزروع والنباتات والأشجار والدواب والدور، وهذه الأشياء نعم أنعم الله تعالى بها على بني البشر، ولا غنى لهم عنها وإتلافها يلحق أضرارا كثيرة بهم، لذا نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن التعدي على هذه المقومات، حتى ولو كانت على أرض العدو حماية لها ورحمة بالأعداء ورأفة بهم، فعن عبد الله بن حبشي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار" [1] سئل أبو داود عن معنى هذا الحديث، فقال: "هذا الحديث مختصر، يعني من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل، والبهائم عبثا، وظلما بغير حق يكون له فيها صوب الله رأسه في النار" [2] وهذا نهي عام ولم يخصص النبي صلى الله عليه وسلم هذا النهي بأرضنا أو بأرض العدو في السلم أو في الحرب.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيشا من المسلمين إلى المشركين قال: "انطلقوا باسم الله"، فذكر الحديث، وفيه:

"ولا تقتلوا وليدا طفلا، ولا امرأة، ولا شيخا كبيرا، ولا تغورن عينا، ولا تعقرن شجرة إلا شجرا يمنعكم قتالا أو يحجز بينكم وبين المشركين، ولا تمثلوا بأدمي ولا بهيمة، ولا تغدروا، ولا تغلوا" [3]. فينهى النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث عن التعدي على الأشجار إلا للضرورة حماية لبيئة الأعداء وحفاظا على مكوناتها.

(1) سنن أبي داود: 7/ 523 كتاب الأدب- باب في قطع السدر وقال الألباني: الحديث صحيح بما له من الشواهد، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: 2/ 173 حديث رقم: 614

(2) المرجع السابق

(3) سبق تخريجه

ومن الأحاديث التي حذر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من التعدي على مكونات البيئة ما رواه ثوبان مولى رسول الله، صلى الله عليه وسلم أنه سمع رسول الله، صلى الله عليه وسلم يقول: "من قتل صغيرا أو كبيرا أو أحرق نخلا أو قطع شجرة مثمرة أو ذبح شاة لأهلها لم يرجع كفافا" (1).

وعن القاسم مولى عبد الرحمن أنه قال: استأذن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغزو فأذن له فقال: "إن لقيت فلا تجبن، وإن قدرت فلا تغلل، ولا تحرقن نخلا، ولا تعقرها، ولا تقطع شجرة مطعمة، ولا تقتل بهيمة ليست لك فيها حاجة، واتق أذى المؤمن" (2).

وهذه الوصايا والتحذيرات: "تعد دستورا لآداب الجهاد في الإسلام، واشتملت على تشريعات للحفاظ على البيئة، حتى في الأوقات الحرجة، بالله عليكم: هل تستحضر دولة الكيان الصهيوني مثل هذه القواعد والمبادئ في اغتصاب أرض المسلمين، وانتهاك أعراضهم، ألم تقتل الأطفال الرضع، والشيوخ الركع"؟ (3).

من خلال ما سبق ندرك أن حروب النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن أبدا "حروب تخريب كالحروب المعاصرة، التي يحرص فيها المتقاتلون من غير المسلمين على إبادة مظاهر

(1) مسند الأمام أحمد: 37/ 52 حديث رقم: 22368. وقال المحقق: إسناده ضعيف. وأقول: هذا الحديث وأن كان سنده ضعيفا إلا أن الحديث السابق الذي رواه البيهقي في السنن الكبرى يقويه.

(2) سنن سعيد بن منصور: 2/ 183 حديث رقم: 2384– كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به الجيوش إذا خرجوا، الناشر: الدار السلفية– الهند

(3) موقف الإسلام من العبث البيئي لمولاي المصطفى البرجاوي مقال على هذا الرابط: K http://www.alukah.net/culture/0/36923/#ixzz3glX49Wei وأنظر: رعاية البيئة في شريعة الإسلام للقرضاوي ص: 30

الحياة لدى خصومهم، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون يحرصون أشد الحرص على الحفاظ على العمران في كل مكان، ولو كان ببلاد أعدائهم" [1].

رابعا: رحمته صلى الله عليه وسلم في الأمر بدفن قتلى الحرب حفاظا على البيئة:

حفاظا على البيئة من التلوث وخوفا من انتشار الوباء والأمراض التي تنتج عن بقاء القتلى في العراء ومراعاة لتكريم الله تعالى لبني آدم أحياء وأمواتا، كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على دفن شهداء الحرب من المسلمين والقتلى من المشركين، ففي غزوة بدر دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء ثم دفن قتلى المشركين ببئر ببدر، ثم وقف يخاطبهم، ويسالهم عن وعيد الله تعالى لهم فعن عائشة رضي الله عنه، قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على القليب، وفيه قتلى بدر من المشركين، فقال لهم ما قال: "إنهم ليسمعون ما أقول" إنما قال: "إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق" [2].

ولهذا السبب أيضا نهى رسول صلى الله عليه وسلم عن التمثيل بجثث القتلى من الأعداء وتركهم في العراء، حتى لا يصيروا جيفة تفوح رائحتهم، فكان صلى الله عليه وسلم مما يوصي به سراياه: "ولا تمثلوا" [3].

---

(1) أخلاقيات الحروب في الإسلام راغب السرجاني متاح على هذا الرابط: http://www.ansarsunna.com/vb/showthred.php?t=10846

(2) صحيح البخاري: 5/ 77 حديث رقم: 3978 كتاب المغازي- باب قتل أبي جهل، صحيح مسلم: 2/ 643 كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

(3) سبق تخريجه

المبحث الخامس

رحمته صلى الله عليه وسلم بأسرى الحرب من المخالفين له في الدين

ويشتمل على خمسة مطالب، وهي:

المطلب الأول

المراد بالأسرى وموقف القران الكريم منهم

1. المراد بالأسرى

"الأسرى هم المقاتلون من الكفار، إذا ظفر المسلمون بأسرهم أحياء" [1] سواء أكان ذلك في أثناء نشوب الحرب أو بعد انتهائها.

2. موقف القرآن الكريم منهم:

لقد بين الله تعالى في كتابة العزيز ثلاثة أوجه في شأن الأسرى:

الأول: التلطف معهم وترغيبهم في الإسلام. وقد جاء هذا الوجه في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (70)) (الأنفال: 70) والذي يؤخذ من الأسرى هو حريتهم بوقوعهم في الأسر، وحرمانهم العودة إلى أهليهم. ومغفرة الله لهم لا تكون إلا بعد إسلامهم وصلاح عقيدتهم، واستقامتهم على صراط الله المستقيم.

والوجه الثاني: هو إطلاق سراحهم مجانا بشرط ألا تخشى منهم خطرا في المستقبل، وهذا يرجع إلى إمام المسلمين.

(1) الأحكام السلطانية لعلي بن محمد أبي الحسن الماوردي ص: 207- الناشر: دار الحديث- القاهرة

أما الوجه الثالث: فهو أخذ الفدية منهم شخصيا أو من دولتهم. وتقدر الفدية حسب ما يراه ولى أمر المسلمين، شريطة ألا يكون فيها إجحاف أو تعجيز للأسير عن دفعها، وهذان الوجهان وردا في قوله تعالى: (فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (4)) (محمد: 4)

هذا ما ورد في القرآن الكريم، وقد أضاف الفقهاء وجهين آخرين هما: الاسترقاق، أي بقاؤهم في الأسر مملوكين لمن أسرهم ملك يمين، والقتل، إذا خشي منهم الضرر في المستقبل على المسلمين.

أما النساء فلا يجوز قتلهن ولا قتل الذراري الصغار، ويكون التصرف معهم إما بالعفو مجانا، أو أخذ الفدية، أو البقاء في الاسترقاق [1]. هذا هو موقف القرآن الكريم من الأسرى، والنبي صلى الله عليه وسلم كان خير منفذ للأوامر القرآنية، ومتبع للتعاليم الربانية، يتضح هذا من خلال المطالب التالية، التي نقف فيها على مظاهر رحمته صلى الله عليه وسلم بأسرى الحرب.

المطلب الثاني

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالأسرى في دعوتهم إلى الإسلام

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وقع الأسرى في قبضته، لا يتركهم في غيهم يعمهون، وفي ضلالاهم يترددون، بل كان يتعهدهم صلى الله عليه وسلم بدعوتهم إلى

(1) معاملة الأسرى في الإسلام لعبد العظيم المطعني متاح على هذا الرابط: http://www.muslm.net/vb/showthred.php?t=24047

الإسلام رجالا ونساء، بلا إكراه، كما أمره الله عز وجل ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ومن الضلال إلى الهدى، رحمة بهم في الدنيا والآخرة، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

1. أن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بني قريظة قبل قسمة السبايا اصطفى صلى الله عليه وسلم ريحانة من بني عمرو بن قريظة، وعرض عليها الزواج بها ويضرب عليها الحجاب فأبت، وقالت: يا رسول الله.. أتركني في ملكك فهو أحق علي وعليك" فتركها، وعرض عليها الإسلام فأبت إلا اليهودية ، فعزلها ووجد في نفسه ذلك من أمرها... فبينما هو مع أصحابه إذ سمع نعلين خلفه فقال: "إن هذا لثعلبة يبشرني بإسلام ريحانة"، فجاء فقال: "يا رسول الله قد أسلمت ريحانة"، فسره ذلك من أمرها فكانت عنده صلى الله عليه وسلم حتى توفي وهي في ملكه رضي الله عنه [1] "فلم يأمرها النبي صلى الله عليه وسلم بالزواج به، بل عرض عليها، ولم يجبرها على الزواج بعد رفضها، برغم أنها أسيرة، لا حول لها ولا قوة، ولم يكرهها على الإسلام، بل أعطاها حرية الاختيار، حتى اختارت الإسلام، واختارت أيضا عدم الزواج منه صلى الله عليه وسلم بعد إسلامها، فأي احترام هذا لحقوق الأسرى؟!.." [2].

2. لما أسرت السيدة صفية بنت حيي بن أخطب زعيم اليهود دعاها الرسول صلى الله عليه وسلم للإسلام رفقا ورحمة بها، وخيرها بين إطلاق سراحها وإلحاقها بقومها إن أرادت البقاء على يهوديتها، وبين الزواج منه فقال لها: "إن أقمت على دينك لم أكرهك،

(1) السيرة النبوية، لابن هشام: 2/ 245، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للبيهقي: 4/ 24. المحقق: د. عبد المعطي قلعجي الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى- 1408هـ- 1988م

(2) أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في الحرب، لأماني زكريا الرمادي ص: 154، 155. متاح على هذا الرابط: www.rasoulallah.net

وان اخترت الله ورسوله فهو خير لك، قالت: أختار الله ورسوله والإسلام. فأعتقني رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجني وجعل عتقي مهري رضي الله عنها" [1].

المطلب الثالث

رحمة النبي صلى الله عليه وسلم في العفو عن أسرى الحرب وإطلاق سراحهم بلا فداء

لقد اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بأمر أسرى الحرب، ووصى بإطلاق سراهم والمن عليهم، فقال: "فكوا العاني، يعني: الأسير، وأطعموا الجائع، وعودوا المريض" [2] وطبق صلى الله عليه وسلم هذا عمليا في حروبه وغزواته فكان كثيرا ما يطلق سراح الأسرى بلا فدية مالية أو تبادل أسرى رحمة بهم وشفقة عليهم وعلى حسب ما تقتضيه المصلحة، وحدث عن هذا ولا حرج فقد أطلق النبي صلى الله عليه وسلم بلا مقابل سراح ستة آلاف أسيرا من سبي هوازن من النساء والصبيان والرجال في غزوة حنين وقعوا في الأسر [3].

ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير فداء– أيضا– على ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من جبال التنعيم عند صلاة الفجر ليقتلوهم، فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سلما "فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم" [4].

وأطلق صلى الله عليه وسلم سراح ثلاثين شابا من شباب المشركين كانوا قد أغاروا بسلاحهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في أثناء عقد صلح الحديبية، فوقعوا

---

(1) الواقدي: المغازي: 2/ 674، 675

(2) صحيح البخاري: 4/ 68 حديث رقم: 3046 كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير

(3) مسند الأمام أحمد: 6/ 275 حديث رقم: 6729 وقال المحقق (أحمد شاكر): إسناده صحيح، الأموال لحميد بن مخلد بن قتيبة المعروف بابن زنجويه ص: 312 حديث رقم: 483، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

(4) صحيح مسلم: 3/ 1433- 1436 حديث رقم: 1807 كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها، سنن أبي داود:/ 61 حديث رقم: 2688 كتاب الجهاد، باب في المن على الأسير بغير فداء، واللفظ له

أسرى في قبضة النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه صلوات الله وسلامه عليه رحمهم، وأطلق سراحهم، بلا عوض ولم ينتقم منهم ويأخذهم بجريرتهم بل عفا عنهم وأحسن إليهم، وفك أسرهم.." [1]، "فهذا عفو في موقف عجيب، فالمسلمون ممنوعون من دخول مكة، وقريش قد أعدت لهم العدة لحربهم، ومع ذلك لم يأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم هؤلاء الأسرى رهينة بل يمن عليهم بغير فداء، ولا يجعلهم ورقة ضغط على المشركين، حتى في هذا الموقف الصعب، إنها الرحمة في أرقى صورها" [2].

وأطلق صلى الله عليه وسلم أيضا- سراح ثمامة بن اثال الحنفي بلا عوض، بعد أن أسره الصحابة رضي الله عنهم، وربطوه في سارية من سواري المسجد، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم "أطلقوا ثمامة"، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، "يا محمد ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي، والله، ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إلي، والله، ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي [3]. فإطلاق سراحه كان سببا في إسلامه.

(1) راجع القصة في مسند الأمام أحمد: 27/ 354، 355 وقال المحقق (شعيب الأرناؤوط): إسناده صحيح.
(2) الرحمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم لراغب السرجاني ص: 316
(3) صحيح البخاري: 1/ 99 حديث رقم: 462، كتاب الصلاة، باب الاغتسال إذا أسلم، وربط الأسير أيضا في المسجد، صحيح مسلم: 3/ 1386 حديث رقم: 1764، كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه، وجواز المن عليه، واللفظ لمسلم

المطلب الرابع

رحمته صلى الله عليه وسلم في إطلاق سراح أسرى الحرب بفداء

لقد فك رسول الله صلى الله عليه وسلم أسر الكثير من المشركين رحمة بهم وشفقة عليهم وعلى ذويهم بفدية مالية أو علمية، اقتضتها الحكمة والمصلحة أو بصفقة تبادل الأسرى مع المشركين من ذلك إطلاقه صلى الله عليه وسلم سراح أسرى بدر، فمنهم من أطلق سراحه بلا فدية، ومنهم من فك أسره بفدية، سواء أكانت مالية أو تعليمية، حيث "من صلى الله عليه وسلم على أبي عزة الشاعر يوم بدر، فأطلق سراحه بلا عوض" [1] و "فادي بعض أسرى بدر بالمال بأربعة آلاف إلى أربع مئة" [2] وقد راعى النبي صلى الله عليه وسلم في الفدية المالية الظروف المادية لكل أسير، فمن لم يكن معه مال جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فداءه أن يعلم عددا من أولاد الأنصار القراءة والكتابة فعن ابن عباس، قال: "كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة" [3] "وهذه أسهل مهمة بالنسبة للأسير، ولم يسبق إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، يتطلع إلى دولة العلم والتفكير الصحيح والاعتقاد بالتوحيد، وللأسف فإن الإنسانية لم تنتبه حتى يومنا هذا إلى هذا الحكم النبوي الكريم، الذي

(1) السنن الكبرى للبيهقي: 6/ 520 حديث رقم: 12839 وقال: هذا إسناد فيه ضعف، وهو مشهور عند آهل المغازي، ط: دار الكتب العلمية- بيروت

(2) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية: 5/ 60- الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت- مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ومصنف عبد الرزاق: 5/ 211، وأشار إليه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود: 4/ 328 وحسن إسناده، وعزاه لابن سعد في الطبقات، وصحح إسناده

(3) مسند الأمام أحمد: المسند: 4/ 92 حديث رقم: 2216 وقال المحقق (شعيب الأرناؤوط): حديث حسن

طبقه سيد الخلق عليه أفضل الصلاة والسلام منذ أربعة عشر قرنا، في وقت لم تكن للثقافة قيمة ولا للأسير حاجة، ولا توجد جمعيات دولية أو منظمات تهتم بالأسرى" [1].

وممن أطلق النبي صلى الله عليه وسلم سراحهم بتبادل أسرى في غزوة بدر عمرو بن أبي سفيان بن حرب حيث أطلق سراحه مقابل أن يطلق المشركون سراح سعد بن النعمان بن زيد بن أكال، أحد بني عمرو بن عوف، كان قد وقع أسيرا في يد أبي سفيان وهو يعتمر [2].

يقول المفكر البريطاني اللورد هدلي، وهو يعلق على معاملة النبي صلى الله عليه وسلم لأسرى غزوة بدر "أفلا يدل هذا على أن محمدا لم يكن متصفا بالقسوة، ولا متعطشا للدماء، كما يقول خصومه، بل كان دائما يعمل على حقن الدماء قدر المستطاع" [3].

وقد أطلق الرسول صلى الله عليه وسلم سراح رجل من بني عقيل مقابل أن يطلق بنو ثقيف– وقد كانوا حلفاء لبني عقيل– سراح رجلين من الصحابة كانوا قد أسروهما رحمة ورأفة بهم جميعا، فعن عمران بن حصين، قال: كانت ثقيف حلفاء لبنى عقيل، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني عقيل، وأصابوا معه العضباء، فأتى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الوثاق، قال: يا محمد، فأتاه، فقال: "ما شأنك؟ " فقال: بم أخذتني، وبم أخذت سابقة الحاج؟ فقال: "إعظاما لذلك أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف"، ثم انصرف عنه، فناداه، فقال: يا محمد، يا محمد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيما رقيقا، فرجع إليه،

(1) حقوق الأسري في الإسلام صالح عبد الله الشثري متاح على هذا الرابط: http://www.islamtodav.net/bohooth/artshow-861314. htm

(2) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبي العباس المقريزي: 1/ 114، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت

(3) الرسول صلى الله عليه وسلم في عيون غربية منصفة لحسين حسيني معدي ص: 104، الناشر: دار الكتاب العربي – دمشق ط 1– 1419 هـ

فقال: "ما شأنك؟ " قال: إني مسلم، قال: "لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح"، ثم انصرف، فناداه، فقال: يا محمد، يا محمد، فأتاه، فقال: "ما شأنك؟" قال: إني جائع فأطعمني، وظمآن فاسقني، قال: "هذه حاجتك"، ففدي بالرجلين،" [1] ومن الفوائد المستنبطة في هذا الحديث: (رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم ورفقه كما هو ظاهر، وقد أشار إلى ذلك الصحابي، عندما قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيما رفيقا وحلمه وصبره صلى الله عليه وسلم فقد ناداه الأسير عدة مرات باسمه يا محمد، دون صفته يا رسول الله. وهو يجيبه في كل مرة ويأتيه ويقول له: ما شأنك؟..) [2].

المطلب الخامس

رحمته صلى الله عليه وسلم بالأسرى في حال الاحتفاظ بهم

لقد تعددت مظاهر رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بالأسارى في حال الاحتفاظ بهم، وعدم إطلاق سراحهم بعوض أو بدون عوض، أو في حال الاحتفاظ بهم، إلى أن يطلق سراحهم، من هذه المظاهر ما يلي:

مظاهر رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بالأسرى في حال الاحتفاظ بهم:

(1) صحيح البخاري: 4/ 68 حديث رقم: 3046 كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير، صحيح مسلم: 3/ 1262 حديث رقم: 1641 كتاب النذور، باب لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك العبد

(2) شرح كتاب الجهاد من (صحيح الترغيب والترهيب) الفرع الثاني: آداب القتال في أثناء المعركة لعبد الله قادري الأهدل ص: 87 متاح على هذا الرابط، http://www.saaid.net/Doat/ahdal/016.htm

أولا: رحمته صلى الله عليه وسلم في الوصية بهم خيرا:

"لقد كانت القاعدة العامة التي حث عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول غزوة غنم فيها المسلمون أسرى هي: "استوصوا بهم- أي بالأسرى- خيرا". [1] وهذه المعاملة الحسنة التي أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم للأسرى لم تكن مجرد قوانين نظرية ليس لها تطبيق في واقع الحياة، ولكنها تمثلت في مظاهر كثيرة تنبئ عن قلوب ملأتها الرحمة، وعن مشاعر فاضت بالعطف والحنان" [2].

وسيظهر هذا من خلال النقاط الآتية:

ثانيا: رحمته صلى الله عليه وسلم، في الحرص على سلامة الأسرى البدنية، وعدم التعرض لهم بأذى:

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على حياة الأسرى، وسلامة أبدانهم وأرواحهم، وعدم التعرض لهم بقتل أو أذى، لذا نجده صلى الله عليه وسلم ينهى عن قتلهم يوم فتح مكة عندما بعث صلى الله عليه وسلم مناديه ينادي في الصحابة رضي الله عنهم، قائلا: "ألا لا يجهز على جريح، ولا تتبعن مدبرا، ولا تقتلن أسيرا، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن" [3]. انظر: كيف كرم رسول الإسلام الأسير، وضمن له الحفاظ على حياته، وأنه لا يمكن أن يتعرض له أحد بأذى، فلا يجوز في الإسلام لمن أسر أسيرا أن يقتله، بل عليه أن يسلمه لإمام المسلمين، ويتشاور الإمام مع قادته، وأصحاب الرأي عنده: كيف يعاملون الأسرى، بل إن القرآن الكريم حثنا على أن نحسن إلى الأسرى، فقال تعالى: (وَيُطْعِمُونَ

(1) المعجم الكبير، الطبراني: 22/ 393 حديث رقم: 977 المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية- القاهرة، وقال الهيثمي: إسناده حسن. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: 6/ 86 حديث رقم: 10007، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة

(2) الرحمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم لراغب السرجاني ص: 323، 324

(3) الأموال لابن زنجويه ص: 291 حديث رقم: 450

الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) (الإنسان: 8). ومما ورد في السنة العملية أن النبي صلى الله عليه وسلم على الرغم من كل ما صنعه يهود بني قريظة [1] من عداء وخيانة للمسلمين، فقد أبى صلى الله عليه وسلم أن يبقوا في شدة الحر، بل أمر أصحابه أن يتركوهم في وقت القيلولة، وأن يسقوهم ماء باردا.... " [2].

بل إن الأمر وصل إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث منع النبي صلى الله عليه وسلم، تعذيب الأسير للإدلاء بمعلومات عن العدو، فقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم، على بعض الصحابة عندما ضربوا غلامين من قريش، وقعا أسيرين في أحداث غزوة بدر، فقال لهم نكرا عليهم فعلهم هذا: "اذا صدقاكم ضربتموهما، واذا كذباكم تركتموهما، صدقا، والله إنهما لقريش. "مع أن هذين الغلامين اللذين ضربا كانا يمدان الجيش المعادي بالماء" [3].

ولما حدث ما حدث من قتل خالد بن الوليد رضي الله عنه لأناس من بني جذيمة وأسر منهم، وأمر بقتل الأسرى غضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وتبرأ صلى الله عليه وسلم من فعله هذا، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم "بعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقالوا: صبأنا صبأنا. فجعل خالد يقتل ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، فأمر كل رجل منا أن يقتل أسيره. فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره. فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: "اللهم أني أبرأ إليك مما فعل خالد مرتين" [4].

---

(1) المغازي للواقدي: 2/ 114 وسيأتي إن شاء الله تعالى تفصيل القصة

(2) معاملة الأسري، محمد راتب النابلسي، متاح على هذا الرابط: http:www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art=4858&id=44&46&ssid=48&sssid=49

(3) السيرة النبوية، لابن هشام: 1/ 166. وانظر: هذا الرابط: http://islamstory.com/ar

(4) صحيح البخاري: 9/ 73 حديث رقم: 7189 كتاب الأحكام، باب إذا قضي الحاكم بجور أو خلاف أهل العلم فهو رد

ثالثا: رحمته صلى الله عليه وسلم في الحرص على سلامة الأسرى النفسية والروحية:

"إن الإسلام يرفع من قيمة البشر، ويحترم المشاعر الإنسانية احتراما كبيرا سواء مع المسلمين أو مع غيرهم، قد وجدنا تطبيقات عملية كثيرة لهذا الأمر في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ويظهر هذا الأمر بوضوح في أوقات الشدائد وبعد الحروب خاصة فنجد النبي صلى الله عليه وسلم يوجه أصحابه الكرام توجيهات إنسانية راقية، في شأن التعامل مع الأسرى من النساء والأطفال، فينهى عن التفريق بين الأم وطفلها" [1] فعن أبي عبد الرحمن الحبلى قال: كنا في البحر، وعلينا عبد الله بن قيس الفزاري، ومعنا أبو أيوب الأنصاري، فمر بصاحب المقاسم وقد أقام السبي، فإذا امرأة تبكي، فقال: ما شأن هذه؟

قالوا: فرقوا بينها وبين ولدها، قال: فأخذ بيد ولدها حتى وضعه في يدها، فانطلق صاحب المقاسم إلى عبد الله بن قيس فأخبره، فأرسل إلى أبي أيوب، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين الأحبة يوم القيامة" [2].

وإليك أخي القارئ الكريم هذه القصة التي تدل على مدى رقة قلب النبي صلى الله عليه وسلم ورحمته، خاصة بالنساء من الأسرى، ومراعاة مشاعر الأم التي يكاد ينفطر قلبها عند فراق وليدها، فعن جعفر بن محمد، عن أبيه، أن أبا أسيد الأنصاري، قدم بسبي من البحرين فصفوا، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليهم، فإذا امرأة تبكي، فقال: "ما يبكيك؟" فقالت: بيع ابني في بني عبس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي أسيد: "لتركبن فلتجيئن به"، فركب أبو أسيد فجاء به" [3].

---

(1) الرحمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم لراغب السرجاني ص: 328، 329

(2) مسند الأمام أحمد: 38/ 485، 486 حديث رقم: 23499 وقال المحقق (شعيب الأرناؤوط) إسناده حسن

(3) المستدرك على الصحيحين: 3/ 591 حديث رقم: 6193 هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه وقال الذهبي بهامش المستدرك: مرسل

"لقد رق قلب النبي صلى الله عليه وسلم للمرأة الأسيرة، فأرسل أحد جنوده إلى بلد بعيد، ليأتي لها بابنها، حتى يهدأ بالها، وتجف دموعها.

ولعل السؤال الأبرز هنا الذي يخطر على بالنا الآن: هل هناك قائد وعسكري في العالم ينتصر في معركة، فيشغل نفسه وجنوده لإسعاد امرأة أسيرة بسيطة لا يعرفها أحد؟.

الإجابة التي يعرفها الجميع: هي أن ذلك أبدا لا يكون، إلا أن يكون هذا القائد هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق الله إذ يقول: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: 107)، [1].

ولما وقعت السيدة صفية بنت حيي بن أخطب، في الأسر بعد فتح خيبر، وكان أبوها وأخوها وزوجها قد قتلوا في المعركة وجاءت مع الأسرى، فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع بلال إلى رحله، فمر بلال بها وبابنة عمها على القتلى، فصاحت ابنة عمها صياحا شديدا، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما صنع بلال، وقال له: "أذهبت منك الرحمة؟ تمر بجارية حديثة السن على القتلى؟ "فقال بلال: "يا رسول الله ما ظننت أنك تكره ذلك، وأحببت أن ترى مصارع قومها" [2].

فتأمل كيف حرص النبي صلى الله عليه وسلم على مشاعر هذه الجارية التي اضطربت مشاعرها عندما رأت جثة أبيها وأخيها وزوجها وغضب غضبا شديدا لذلك وصرح بأن هذا مناقض للرحمة ومراعاة المشاعر والأحاسيس.

رابعا: رحمته صلى الله عليه وسلم في الإنفاق على الأسرى:

"إن الإنفاق على الأسير ومساعدته مما يثاب عليه المسلم، وذلك بحكم ضعفه وانقطاعه عن أهله وقومه، وشدة حاجته للمساعدة، وقد قرن القرآن الكريم برة ببر اليتامى

(1) الرحمة في حياة لرسول صلى الله عليه وسلم لراغب السرجاني ص: 329
(2) المغازي للواقدي: 2/ 674

والمساكين، فقال في وصف المؤمنين: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) (الإنسان: 8) [1]، وهذا حق من حقوق الأسرى ومن منطلق رحمته صلى الله عليه وسلم حرص على مراعاته، وتتمثل رحمته صلى الله عليه وسلم في مراعاة هذا الحق فيما يلي:

1. رحمته صلى الله عليه وسلم في توفير الطعام والشراب للأسرى:

لقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على توفير الطعام والشراب للأسرى رحمة بهم وشفقة عليهم حتى لا يموتوا جوعا أو عطشا إذ إنهم من الفئات الضعيفة التي تستحق العطف والشفقة والإحسان والمعاملة الإنسانية، التي تحفظ كرامتهم، وترعي حقوقهم، فكان صلى الله عليه وسلم يطعم الأسري ويحسن اليهم ويحث الصحابة رضي الله عنهم على إطعامهم والإحسان إليهم، فكانوا يقدمون لهم أجود الطعام، وهو أحب اليهم وقد يكونوا في أشد الحاجة إليه، لذا استحقوا ثناء الله عليهم بقوله: (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9)) (الإنسان: 9) وبقوله: (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9)) (الحشر: 9) فعندما أسر الصحابة رجلا من بني عقيل، وقد كانوا حلفاء بني ثقيف، قال هذا الأسير: "يا محمد، يا محمد، فأتاه، فقال: "ما شأنك؟" قال: إني جائع فأطعمني، وظمآن فاسقني، قال: "هذه حاجتك" [2] واليكم شهادة من أحد الأسرى تظهر رحمة النبي الكريم بهم، وطاعة أصحابه الأبرار لأوامره صلى الله عليه وسلم، فعن أبي عزيز بن عمير، أخي مصعب بن عمير قال: كنت في الأسارى يوم بدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استوصوا بالأسارى خيرا،

(1) أخلاقيات الحروب في الإسلام راغب السرجاني متاح على هذا الرابط: http://www.ansarsunna.com/vb/showthread.php?t=10846

(2) صحيح مسلم: 3/ 1262 حديث رقم: 1641 كتاب النذور، باب لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك العبد

وكنت في نفر من الأنصار، وكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم أكلوا التمر، وأطعموني الخبز بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم" [1] إنها الرحمة والإيثار.

2. رحمته صلى الله عليه وسلم في توفير الكسوة للأسرى:

لم يقتصر الإنفاق على الأسرى على إطعامهم أو سقيهم، بل شمل أيضا كسوتهم وستر أبدانهم وعوراتهم وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم، معهم، ووصي به أصحابه رضي الله عنهم رحمة بهم وعطفا وشفقة عليهم حتى يقوا أنفسهم حر الصيف أو برد الشتاء: فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: "لما كان يوم بدر أتي بأسارى، وأتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب، "فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قميصا، فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه، فكساه النبي صلى الله عليه وسلم، إياه، فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم، قميصه الذي ألبسه" قال ابن عيينة كانت له عند النبي صلى الله عليه وسلم، يد فأحب أن يكافئه" [2] ولم يكسه النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه عمه فقط، بل لأنه أسير لا حول له ولا قوة ولا يجد ما يكسو به نفسه.

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم لأسرى هوازن في غزوة حنين بكسوتهم وتوفير الثياب لهم فعن عروة بن الزبير رضي الله عنه: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلا أن يقدم مكة فيشتري للسبي ثياب المعقد، فلا يخرج الحر منهم إلا كاسيا" [3] وما ذلك إلا رحمة بهم وشفقة عليهم.

(1) المعجم الكبير، للطبراني: 22/ 393 حديث رقم: 977، وقال الهيثمي: إسناده حسن: مجمع الزوائد: 6/ 86 حديث رقم: 10007

(2) الإمام البخاري: صحيح البخاري: 4/ 60 حديث رقم: 3008 كتاب الجهاد والسير، باب الكسوة للأسارى

(3) البيهقي: دلائل النبوة: 5/ 193 باب وفود وفد هوازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم

3. رحمته صلى الله عليه وسلم في توفير المأوى والمسكن للأسرى:

من رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالأسرى أنه كان لا يتركهم موثقين في العراء بلا سكن ولا مأوى، بل كان صلى الله عليه وسلم يوفر لهم السكن والمأوى، لأنهم قد فارقوا أهلهم وأوطانهم وسكنهم، فلا مأوى لهم يؤويهم، ولا سكن يقيهم حر الصيف أو برد الشتاء، فكان يسكنهم أحيانا في المسجد حتى يطلعوا على عبادة المسلمين وأخلاقهم ومعاملتهم، لعلهم يتأثرون بها ويدخل الإيمان في قلوبهم كما حدث مع ثمامة بن اثال الحنفي [1]، حيث كان موثقا في المسجد كما أمر الله تعالى بذلك في قوله: (فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (4)) (محمد: 4) فلما أطلق النبي صلى الله عليه وسلم سراحه أسلم في الحال لما رأى من رحمة النبي صلى الله عليه وسلم به ولما رآه من حسن أخلاق الصحابة وطاعتهم لربهم.

وأحيانا كان صلى الله عليه وسلم يسكن الأسير بيتا من بيوت الصحابة رضي الله عنهم فعن الحسن البصري قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول: أحسن إليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه" [2].

خامسا: رحمته صلى الله عليه وسلم في الرفق بالأسرى واحترام آدميتهم:

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يرفق بالأسرى ويحترم آدميتهم ولا يمتهن كرامتهم فعندما رأى النبي صلى الله عليه وسلم أسرى يهود بني قريظة موقوفين في العراء، عطشى في

(1) سبقت قصة ثمامة ص: 29

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد ابن جزي الكلبي: 2/ 438، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري: 6/ 413، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، وهو حديث مرسل

يوم شديد الحر نهى صلى الله عليه وسلم عن تعذيبهم وامتهان كرامتهم، وأمر بأن يحسنوا إليهم ويقيلوهم من حر الشمس، ويسقوهم حتى يرووا ظمأهم، رفقا ورحمة بهم واحتراما لآدميتهم فقال مخاطبا للصحابة المكلفين بحراستهم: "أحسنوا إسارهم، وقيلوهم، واسقوهم، حتى يبردوا، فتقتلوا من بقي، لا تجمعوا عليهم حر الشمس وحر السلاح" وكان يوما صائفا، فقيلوهم وسقوهم" (1).

ولما أسر بعض الصحابة غلامين من قريش أحدهما لبني الحجاج والآخر لبني العاص بن سعيد، وأخذوا يضربوهما، فأتوا بهما فسألوهما، ورسول الله صلى الله عليه وسلم، قائم يصلي، فقالا: نحن سقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء. فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان، فضربوهما. فلما أذلقوهما قالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما. وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم، سجد سجدتيه، ثم سلم، وقال معاتبا لهم: "إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا، والله إنهما لقريش" (2).

وفي غزوة الخندق نوفل بن عبد الله تردى به فرسه فقتل، فبعث أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم بديته مئة من الإبل، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: "خذوه، فإنه خبيث الدية، خبيث الجثة" (3).

فانظر: كيف رحم النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء الأسرى وعاملهم بالرفق واحترم إنسانيتهم وآدميتهم حتى بعد موتهم مع أنهم أعداء له ولو ظفروا به أو بأحد من أصحابه قبل أسرهم أو موتهم ما رحموهم حقا إنه الرؤوف الرحيم صاحب الخلق العظيم والرفق العميم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

---

(1) المغازي للواقدي: 2/ 114، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الصالحي: 5/ 13 ط: دار الكتب العلمية بيروت– لبنان

(2) السيرة النبوية، لابن هشام: 1/ 166

(3) المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة: 10/ 455 آثر رقم: 30101

هذه هي معاملة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم للأسرى من الأعداء المخالفين في الدين، إنها معاملة تفيض بالرحمة والرأفة والرفق وتنبع من قلوب رحيمة، معاملة تحفظ حقوق الأسرى المادية والنفسية والبدنية وحرية الاعتقاد، وتحفظ مشاعرهم وكرامتهم وآدميتهم، معاملة قائمة على العدالة والمساواة، فهل هناك قائد من القادة غير المسلمين أو جنوده تعاملوا مع أسرى المسلمين مثلما تعامل النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه مع أسرى المخالفين أعداء الدين؟ أبدا لم يحدث هذا، بل تعاملوا معهم معاملة تقشعر لها الأبدان، ويشيب لها الولدان، وتضع لها ذات الحمل حملها، عاملوهم بكل عنف ووحشية وقسوة وإرهاب، قطعوهم إربا أفرادا وجماعات ومزقوهم كل ممزق، وأحرقوهم بالنار، وسلطوا عليهم الكلاب العقور تأكل أجسادهم، وتقطع أعضاءهم، وحبسوهم في سجون غير آدمية ومنعوا عنهم الطعام والشراب والكساء في حر الصيف وبرد الشتاء، وحرموا ذويهم وأهلهم من رؤيتهم، دون مراعاة لأي حقوق إنسانية أو رحمة قلبية والتاريخ والواقع خير شاهدان على هذا، وحسبي الله ونعم الوكيل [1].

(1) إن أردت الاطلاع على هذه الجرائم ضد الأسرى فارجع إلى العلاقات الدولية في الإسلام لمحمد أبي زهرة ص: 110، 111 ط: دار الفكر العربي- القاهرة- مصر، 1415هـ- 1995 م، أسرى الحرب عبر التاريخ عبد الكريم فرحان ط: دار الطليعة- بيروت

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد شاء الله العلي القدير جل جلاله أن أتحدث في بحثي هذا عن خلق من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وصفة من صفاته الكريمة، ألا وهي رحمته صلى الله عليه وسلم بالمخالفين له في الدين والعقيدة في أثناء الحرب والقتال وها أنا قد انتهيت من الكتابة فيه، وأرجو أن أكون قد تناولت هذا الموضوع المهم من جميع جوانبه، وبينت جميع عناصره، وأحسنت في اختيار تعبيراتي وانتقاء ألفاظي، فإن كنت قد أحسنت فمن الله المتصف بصفات الكمال وكمال الصفات، وان كنت قد أسأت فمن نفسي ومن الشيطان، أعوذ بالله من نفخه ووسوسته ونفثه ولماته.

هذا وقد أثمر البحث عن عدة نتائج أهمها:

1. أن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالمخالفين له من الأعداء في الحرب جزء من الرحمة العامة، التي أرسله الله من أجلها، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (107)) (الأنبياء: 107)
2. أن رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بالأعداء المخالفين له عامة، وفي الحرب خاصة ليست صفة عارضة بل هي من جوهر شخصيته صلى الله عليه وسلم، التي صبغت حياته، وسبقت سائر صفاته.
3. أن الرحمة في ميدان الحرب والقتال مجال عظيم لا تصدر إلا من نبي، وهي أمر غير متوقع أن يحدث، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان على غير الظن والتوقع،

لأنه صاحب القلب الرحيم، الذي أرسله ربه رحمة للعالمين: المسلمين وغير المسلمين ففاقت رحمته الوصف، وزادت عن الحد.

4. أن رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمخالفين له في الدين والعقيدة هي أبلغ رد على المغرضين الذين يصفون الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم بالعنف والتطرف والإرهاب.

5. أن رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بالأعداء المخالفين له في ميدان الحرب والقتال شملت المحاربين والمستكرهين على الحرب والمستأمنين والفارين منها والمستسلمين والمدنيين وكذا بيئتهم والأسرى منهم.

6. أن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالأسرى ومراعاة حقوقهم رحمة عظيمة لن يصل إليها قانون دولي ولا منظمة دولية.

ومن أهم التوصيات ما يلي:

1. إبراز جانب الرحمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة بالمخالفين له في الدين والعقيدة عن طريق نشر البحوث والمقالات المختصة بذلك باللغة العربية واللغات الأخرى، ليطلع عليها القاصي والداني من غير المسلمين، فيتعرفوا على رسول الرحمة ونبي الإنسانية صلى الله عليه وسلم ويكفوا عن الإساءة إليه، إذ إن الإنسان عدو ما يجهل.

2. الإكثار من عقد المؤتمرات الدولية التي تهتم بالعلوم والأخلاق الإسلامية العظيمة ونشر أعمال هذه المؤتمرات عبر وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية، وكذا شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) باللغة العربية ولغات متعددة بصفتها وسيلة من وسائل الدعوة ونشر العلوم والمعارف والأخلاق الإسلامية السامية.

وصلى الله وسلم على نبي الرحمة ورسول الهدى وعلى آله وصحبه مصابيح الدجى.

فهرس المراجع والمصادر

1. آداب الحرب في الإسلام: أحمد هاشم: متاح على هذا الرابط: http://www.masrawy.com/Islameyat/Makalat-Other/details/2015/2/16/461614
2. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان- محمد بن حبان أبو حاتم البستي (المتوفى: 354 هـ) ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ) تحقيق: شعيب الارناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت
3. أحكام أهل الذمة- محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751 هـ) المحقق: يوسف بن أحمد البكري، الناشر: رمادي للنشر- الدمام، الطبعة الأولى، 1418 هـ.
4. الأحكام السلطانية- علي بن محمد بن محمد البغدادي، أبو الحسن الماوردي (المتوفى: 450 هـ)- الناشر: دار الحديث- القاهرة.
5. أخلاق الحروب في السنة النبوية- راغب السرجاني، الناشر- مؤسسة اقرأ- القاهرة، ط 1، 1431 هـ.
6. أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في الحرب: أماني زكريا الرمادي: متاح على هذا الرابط: www.rasoulallah.net
7. أخلاقيات الحروب في الإسلام- راغب السرجاني متاح على هذا الرابط: http://www.ansarsunna.com/vb/showthread.php?t=10846
8. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: أحمد بن علي أبو العباس المقريزي (المتوفى: 845 هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت ط 1، 1420هـ- 1999م.

9. الأموال- حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله المعروف بابن زنجويه (المتوفى: 251 هـ)، تحقيق الدكتور: شاكر ذيب فياض، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الطبعة الأولى، 1406 هـ.

10. التحبير لإيضاح معاني التيسير- محمد بن إسماعيل بن صلاح، الأمير الكحلاني (المتوفى: 1182هـ)، تحقيق: محمد صبحي حسن - الناشر: مكتبة الرشد، الرياض- المملكة العربية السعودية- الطبعة: الأولى، 1433 هـ.

11. التسهيل لعلوم التنزيل- محمد بن أحمد بن محمد الكلبي (المتوفى: 741 هـ):، المحقق: عبد الله الخالدي- الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت، الطبعة الأولى، 1416 هـ.

12. تفسير القرآن العظيم- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء الدمشقي (المتوفى: 774 هـ): المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية،- بيروت، الطبعة الأولى- 1419 هـ.

13. التفسير الوسيط للقرآن الكريم- محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر، الفجالة- القاهرة.

14. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم- عبد الرحمن بن أحمد البغدادي، ثم الدمشقي، المعروف بابن رجب الحنبلي (المتوفى: 795 هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت ط 7.

15. الرحمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم راغب السرجاني، الطبعة الأولى: 1430 هـ- 2009 م

16. حقوق الأسرى في الإسلام- صالح عبد الله الشثري: متاح على هذا الرابطة: http://www.islamtoday.net/bohooth/artshow-861314.htm

17. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (المتوفى: 256)، الناشر: دار طوق النجاة الطبعة الأولى، 1422 هـ.

18. دلائل النبوة: أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458 هـ)، المحقق: د. عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى- 1408هـ- 1988م.

19. الرسول صلى الله عليه وسلم في عيون غربية منصفة: حسين حسيني معدي:، الناشر: دار الكتاب العربي دمشق ط 14191هـ

20. زاد المعاد في هدي خير العباد محمد ابن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751 هـ). الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: السابعة والعشرون، 1415 هـ.

21. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها- محمد ناصر الدين بن الحاج نوح، أبو عبد الرحمن الألباني (المتوفى: 1420هـ)، الناشر: مكتبة المعارف- الرياض، الطبعة الأولى.

22. سنن ابن ماجة- محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (المتوفى: 273 هـ) تحقيق: شعيب الأرناؤوط- الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 1430هـ- 2009 م.

23. سنن أبي داود- سليمان بن الأشعث بن إسحاق أبو داود السجستاني (المتوفى: 275 هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 1430هـ- 2009 م.

24. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد- محمد بن يوسف الصالحي الشامي ت 942 هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- ط: دار الكتب العلمية- بيروت.

25. رعاية البيئة في شريعة الإسلام- يوسف القرضاوي، الطبعة الأولى، 1421 هـ- 2001 م، ط: دار الشروق.

26. سنن الترمذي- محمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى الترمذي (المتوفى: 279 هـ)، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر، الطبعة الثانية، 1395هـ -1975م تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون.

27. سنن سعيد بن منصور- سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني (المتوفى: 227 هـ):، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي- الناشر: الدار السلفية- الهند، الطبعة الأولى، 1403 هـ- 1982م.

28. السنن الكبرى- أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458 هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنات، الطبعة: الثالثة.

29. السنن الكبرى- أحمد بن شعيب بن علي، أبو عبد الرحمن النسائي (المتوفى: 303 هـ)، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي- الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ- 2001 م.

30. السيرة النبوية- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (المتوفى: 213 هـ)، تحقيق: مصطفى السقا الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، 1375هـ- 1955م.

31. السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء الدمشقي (المتوفى: 774 هـ): تحقيق: مصطفى عبد الواحد- الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت- لبنان.

32. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى ب (الكاشف عن حقائق السنن)- شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (743 هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة- الرياض) ط1.

33. شرح كتاب الجهاد من (صحيح الترغيب والترهيب) الفرع الثاني: آداب القتال في أثناء المعركة- عبد الله قادري الأهدل متاح على هذا الرابط https://www.saaid.net/Doat/ahdal/016.htm

34. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد أبو نصر الجوهري (المتوفى: 393 هـ): تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار- الناشر: دار العلم للملايين- بيروت الطبعة الرابعة 1407 هـ- 1987 م.

35. عمدة القاري شرح صحيح البخاري- محمود بن أحمد بن موسى الحنفي المعروف بالبدر العيني (المتوفى: 855 هـ):، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت.

36. غرائب القرآن ورغائب الفرقان- نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850 هـ) المحقق: الشيخ زكريا عميرات- الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى- 1416 هـ.

37. الفائق في غريب الحديث والأثر- محمود بن عمرو بن أحمد، أبو القاسم الزمخشري (المتوفى: 538 هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي- الناشر: دار المعرفة- لبنان الطبعة الثانية.

38. فتح الباري شرح صحيح البخاري- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر: دار المعرفة- بيروت.

39. قالوا عن الإسلام- عماد الدين خليل:، الناشر الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1412هـ- 1992م.

40. فتح الباري شرح صحيح البخاري- عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي، ثم الدمشقي، المعروف بابن رجب الحنبلي (المتوفى: 795 هـ):، مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة النبوية- الطبعة الأولى، 1417هـ- 1996م.

41. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:- علي بن أبي بكر بن سليمان أبو الحسن الهيثمي (المتوفى: 807 هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي- الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة- عام النشر: 1414 هـ، 1994م.

42. مجمل اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (المتوفى: 395 هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان. دار النشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الثانية- 1406 هـ- 1986م.

43. مجموع الفتاوى- أحمد بن عبد الحليم أبو العباس المعروف بابن تيميه (المتوفى: 728 هـ) الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

44. المستدرك على الصحيحين: الحاكم محمد بن عبد الله أبو عبد الله النيسابوري (المتوفى: 405 هـ):، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت.

45. المسند: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى، الموصلي (المتوفى: 307 هـ)، المحقق: حسين سليم أسد- الناشر: دار المأمون للتراث- دمشق، الطبعة الأولى، 1404- 1984.

46. المسند- أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (المتوفى: 241 هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة الأولى، 1421 هـ- 2001 م تحقيق شعيب الأرناؤوط.

47. مسند الشاميين- سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360 هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت- الطبعة الأولى، 1405 هـ.

48. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري (المتوفى: 261 هـ)- الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

49. المصنف- عبد الرزاق بن همام بن نافع أبو بكر الصنعاني (المتوفى: 211 هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي الناشر: المجلس العلمي- الهند- المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الثانية، 1403 هـ.

50. المصنف في الأحاديث والآثار- عبد الله بن محمد بن إبراهيم أبو بكر المعروف بابن أبي شيبة العبسي (المتوفى: 235 هـ)، تحقيق كمال يوسف الحوت- الناشر: مكتبة الرشد- الرياض الطبعة الأولى، 1409هـ.

51. مظاهر الرحمة للبشر في شخصية محمد صلى الله عليه وسلم سارة آدم إعداد زيد عمر العيص بدون طبعة

52. معاملة الأسرى في الإسلام عبد العظيم المعطني متاح على هذا الرابط: http://www.muslm.net/vb/showthread.php?t=242047

53. معاملة الأسرى- محمد راتب النابلسي: متاح على هذا الرابط: http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art=4858&id=id=44&sid=46&ssid=48&sssid=49

54. المعجم الكبير سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360 هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية- القاهرة، الطبعة الثانية.

55. المغازي- محمد بن عمر بن وأقد السهمي المدني، أبو عبد الله (المتوفى: 207 هـ)، تحقيق: مارسدن جونس الناشر: دار الأعلمي- بيروت، الطبعة الثالثة- 1409/ 1989.

56. موقف الإسلام من العبث البيئي- مولاي المصطفى البرجاوي: مقال على هذا الرابط:
http://www.alukah.net/culture/0/36923#ixzz3giX49Wei

57. هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب- جابر أبو بكر الجزائري، ط: دار الشروق- جدة دار الخاني- الرياض.

58. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج- يحيي بن شرف أبو زكريا محيي الدين النووي (المتوفى: 676 هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة، الثانية، 1392 هـ.

59. النهاية في غريب الحديث والأثر- المبارك بن محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير (المتوفى: 606 هـ)، الناشر: المكتبة علمية- بيروت، 1399هـ- 1979م تحقيق: طاهر أحمد الزاوي.

60. نيل الأطار- محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى: 1250هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى، 1413 هـ- 1993م 620